

تأليف

أبو محمد صلاح الدين عبد الموجود

دار ابن رجب

الطبعة الأولى

١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م

رقم الإيداع : ٢٠٠٣/٨٥٢٥

دار ابن رجب طبع. نشر. توزيع

فارسكور : تليفاكس ٠٠٢٠٥٧٤٤١٥٥٠ جوال : ٠١٢٢٣٦٨٠٠٢
المنصورة : شارع جمال الدين الأفغاني هاتف : ٠٠٢٠٥٠٢٣١٢٠٦٨



مُقَدِّمَة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فهو المهتدي ومن يضلل فــلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ..

أما بعد ..

فهذه رسالة بعنوان «**الثبات على الهداية**» جعلتها متممة لرسالتي «**بداية الهداية**»

أسأل الله أن ينفع بهما وأن يغفر لي ولمن قرأهما ولجميع المسلمين اللهم آمين ..

كتبه

صلا ح الدين علي عبد الموجود

في : ١٢ شعبان ١٤٢٢هـ

نعمة الثبات على الهداية

الحمد لله الذي أعان بفضله الأقدام السالكة وأنقذ برحمته النفوس الهالكة ويسر من شاء لليسرى فرغب في الآخرة .. أحمده على الأمور السهلة والشائكة .. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ذو العز والقهر فكل النفوس له ذليلة عانية .. وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي أقام أمر ربه سرا وعلانية وعلى آله الأطهار وصحبه الأخيار وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد ..

فإن من أعظم نعم الله على العبد الثبات على الهداية فالقلب أشد تقلباً من القدر إذا استجمع غليانه وهو كالريشة تقلبها الريح .. فبين العبد وبين قلبه مسافات قد يصل إليه في لحظة أو لحظات أو عام أو أعوام وربما يقضى عمره كله وما وصل إلى قلبه بل يكون كالسائمة لا يلوى على شيء لا يصل إلا عند لحظة خروج الروح فينادى كما **قال تعالى** : ﴿ **رَبِّ ارْجِعُونِ ۝ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً**

فِيمَا تَرَكْتُ ﴾ [المؤمنون : ٩٩]

ولكن الجواب يأتي على غير المراد . ﴿ **كَلاَّ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ** ﴾ [المؤمنون : ١٠٠]

وإذا وصل الإنسان إلى قلبه وعرف **الله** ﷻ وتحرك فيه مشهد اليقظة فقد نال العز في الدنيا والآخرة .. وربما إذا وصل إلى قلبه لا يستطيع أن يصل إلي ربه .. فبين القلب والرب مسافات قد يحول بينها الشيطان والنفس والهوى فكم من إنسان عرف **الله** ﷻ ولكن الشهوات أقعدته عن مواصلة السير إليه وكلما تثاقلت الشهوات وتعاظمت الذنوب طالت المسافة بين القلب وبين ربه سبحانه وتعالى فهناك عوائق إذا تعداها العبد وتخطاها حط برحله في الجنة إن شاء الله ..

عَنْ سَبْرَةَ بْن أَبي الفَاكهة قَالَ سَمعْتُ رَسُولَ اللَّه ﷺ يَقُولُ : « **إنَّ الشَّيْطَانَ قَعَدَ لابْنِ آدَمَ بأَطْرُقه فَقَعَدَ لَهُ بطَرِيقِ الإِسْلاَم فَقَالَ : تُسْلمُ وَتَذَرُ دينَكَ وَدينَ آبَائكَ وَآبَاءِ أَبيكَ فعَصَاهُ فَأَسْلَمَ ، ثُمَّ قَعَدَ لَهُ بطَرِيقِ**

الْهِجْرَة فَقَالَ : تُهَاجِرُ وَتَدَعُ أَرْضَكَ وَسَمَاءَكَ وَإِنَّمَا مَثَلُ الْمُهَاجِرِ كَمَثَلِ الْفَرَسِ فِي الطِّوَل[1] فَعَصَاهُ فَهَاجَرَ ، ثُمَّ قَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْجِهَادِ فَقَالَ : تُجَاهِدُ فَهُوَ جَهْدُ النَّفْسِ وَالْمَالِ فَتُقَاتِلُ فَتُقْتَلُ فَتُنْكَحُ الْمَرْأَةُ وَيُقْسَمُ الْمَالُ فَعَصَاهُ فَجَاهَدَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّه ﷻ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ وَمَنْ قُتِلَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّه ﷻ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ وَإِنْ غَرِقَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّه أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ أَوْ وَقَصَتْهُ دَابَّتُهُ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّه أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ »[2].

البداية نقطة

والبداية نقطة أو قطرة من وجدها فقد وجد الخير كله ومن حرمها فقد حرم الخير كله .. فإياك ومعوقات السفر وإياك وقلة الزاد ..

---

(١) الطول : الحبل يربط للدابة في وتد فترعى وهي مقيدة فيه.

(٢) صحيح : رواه النسائي (٣٠٨٣) ، أحمد (١٥٥٢٨) .

عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ : كُنَّا عِنْدَ عُمَرَ فَقَالَ أَيُّكُمْ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَذْكُرُ الْفِتَنَ فَقَالَ قَوْمٌ نَحْنُ سَمِعْنَاهُ فَقَالَ لَعَلَّكُمْ تَعْنُونَ فِتْنَةَ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَجَارِهِ قَالُوا أَجَلْ قَالَ تِلْكَ تُكَفِّرُهَا الصَّلاَةُ وَالصِّيَامُ وَالصَّدَقَةُ وَلَكِنْ أَيُّكُمْ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَذْكُرُ الْفِتَنَ الَّتِي تَمُوجُ مَوْجَ الْبَحْرِ قَالَ حُذَيْفَةُ : فَأَسْكَتَ الْقَوْمُ . فَقُلْتُ أَنَا : قَالَ أَنْتَ لِلَّهِ أَبُوكَ . قَالَ حُذَيْفَةُ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ « **تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا فَلاَ تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتْ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ وَالآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا كَالْكُوزِ مُجَخِّيًا لاَ يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلاَ يُنْكِرُ مُنْكَرًا إِلاَّ مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ** » قَالَ حُذَيْفَةُ : وَحَدَّثْتُهُ أَنَّ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا بَابًا مُغْلَقًا يُوشِكُ أَنْ يُكْسَرَ . قَالَ عُمَرُ : أَكَسْرًا لاَ أَبَا لَكَ فَلَوْ أَنَّهُ فُتِحَ لَعَلَّهُ كَانَ يُعَادُ . قُلْتُ : لاَ بَلْ يُكْسَرُ وَحَدَّثْتُهُ أَنَّ ذَلِكَ الْبَابَ رَجُلٌ يُقْتَلُ أَوْ يَمُوتُ حَدِيثًا لَيْسَ

بالأَغَاليط . قَالَ أَبُو خَالد فَقُلْتُ : لسَعْد يَا أَبَا مَالك مَا أَسْوَدُ مُرْبَادًّا . قَالَ : شدَّةُ الْبَيَاض فِي سَوَاد . قَالَ قُلْتُ فَمَا الْكُوزُ مُجَخِّيًا قَالَ : مَنْكُوسًا[١].

أنظر لهذا الحديث كم ذكر من معوقات من فتنة الرجل في أهله وجاره إلى الفتن التي تموج كموج البحر ...

فالهداية ذروة الشرف فعز الإنسان وشرفه أن يضع قلبه على سُلم الهداية ثم يرتقى فيعرف الله ﷻ بأسمائه وصفاته ويعبده حق عبادته فالله ﷻ أمرك أن تواصل السير حتى آخر رمق قال ﷻ : ﴿ **وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ** ﴾ [الحجر : ٩٩] بينما حال من لم يضع قلبه على سلم الهداية واتبع طريق الغواية يقول عنه سبحانه وتعالى : ﴿ **وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ۝ حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ** ﴾ [المدثر : ٤٦ - ٤٧]

(١) رواه **مسلم** : (١٤٤) .

الصراط المستقيم سبيل المهتدين .

قال تعالى : ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام : ١٥٣]

فالهداية للصراط المستقيم والمضي قدما بالقلب واللسان وباقي الجوارح نهايته الفوز برضى الرحمن والتنعم بالجنان .

والهداية لا بد فيها من تواطىء القلب مع اللسان مع الجوارح ، لا .. بل كل ذرة فيك لا بد أن تستشعر أنها تريد الله وأنها لا غنى لها طرفة عين عن الله ﷻ .. تبدأ الهداية بيقظة القلب ثم سجود القلب لله سجدة لا يقوم منها أبداً ، وهذا هو الثبات نسأل الله أن يثبتنا جميعا على الهداية .

والقلب هو الملك والجوارح هي الرعية فبخضوع القلب وذُله لله ﷻ تتبعه جميع الجوارح .

فعن النُّعْمَان بْن بَشيرُ قالَ سَمعْتُ رَسُولَ اللَّه ﷺ يَقُولُ : ((أَلاَ وَإنَّ لكُلِّ مَلك حمًى أَلاَ إنَّ حمَى اللَّه في أَرْضه مَحَارمُهُ أَلاَ وَإنَّ فِي الْجَسَد مُضْغَةً إذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلاَ وَهيَ الْقَلْبُ))[1] ، فليس للقلب معبود إلا الله فإذا ترك العبادة وأعرض عن الهداية خرج من سبيل العابدين ..

قال الله ﷻ ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَداً ۞ لَقَدْ جئْتُمْ شَيْئاً إدّاً ۞ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ منْهُ وَتَنشَقُّ الأَرْضُ وَتَخرُّ الْجبَالُ هَدّاً ۞ أَنْ دَعَوْا للرَّحْمَنِ وَلَداً ۞ وَمَا يَنْبَغي لَلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخذَ وَلَداً ۞ إنْ كُلُّ مَنْ في السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إلاَّ آتي الرَّحْمَن عَبْداً ﴾

[مريم ٨٨ - ٩٣]

وقال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ في السَّمَوَات وَمَنْ في الأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثيرٌ منَ النَّاسِ وَكَثيرٌ حَقَّ

---

(١) رواه البخاري (٥٢) ، مسلم (١٥٩٩) .

عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنْ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴾ [الحج : ١٨] فينبغي للسالك إلى الله أن يخالف أصحاب الجحيم ويستأنس بأصحاب النعيم ويثبت على الأمر إلى منتهاه .. قال ﷻ : ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلاَّ قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنْ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ [الممتحنة : ٤]

وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ۞ إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴾

[الزخرف : ٢٦ - ٢٧]

وقال تعالى : ﴿ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ۞ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِي لِلَّــذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ

وَالأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَا مِنْ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام : ٧٨ - ٧٩]

وقال تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ۝ لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝ وَلا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝ وَلا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدتُّمْ ۝ وَلا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ [الكافرون : ١ - ٦]

فإذا بالعبد يمضى إلى ربه تبارك وتعالى لا يستوحش قلة السالكين ولا يسقطه كثرة الناكبين عن الصراط .

قال تعالى : ﴿ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً ﴾ [الأحزاب : ٢٣]

سلامة المنهج دليل على صحة الهداية

فأصحاب الصراط المستقيم تمر بهم الأزمات وتحيط بهم المعوقات وتثقلهم الصعاب وهم ماضون لا يلتفتوا قد علموا أن الطريق الذي هم فيه هو درب الأنبياء والصالحين فاستأنسوا بهم واشتاقوا إلى اللحوق بركبهم فاستعذبوا الصعب ليصلوا إلى المراد .

قال تعالى : ﴿ **وَمَنْ يُطِعْ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقاً** ﴾ [النساء : ٦٩]

قلبه حط في ركابهم ومازال يعـــدو للحوق بهم أحس بغربة الدنيا وأنه سلب من وطنه فهو مشتاق دائما إلى الوصول .

مر النبي ﷺ بأحد شباب الصحابة فوعظه موعظة من كلمات أثرت فيه لآخر عمره ﷺ .. فعَنْ عَبْد اللَّه ابْنِ عمر ﷺ عَنْهُمَا قَالَ أَخَذَ رَسُولُ اللَّه ﷺ بمَنْكبي فَقَالَ : ((**كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ**)) وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَقُولُ : إِذَا أَمْسَيْتَ فَلاَ تَنْتَظِرْ الصَّبَاحَ وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلاَ تَنْتَظِرْ الْمَسَاءَ وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ [١].

فإذا صحت الهداية في قلب العبد وأبصر الوعد والوعيد والجنة والنار وما أعد الله في هذه لأوليائه وفى

---

(١) رواه البخاري (٦٤١٦) .

هذه لأعدائه ، وأبصر الناس خرجوا من قبورهم لدعوة الحق وقد نزلت ملائكة السماوات فأحاطت بهم ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء وقد نصب الميزان وتطايرت الصحف واجتمع الخصوم وتعلق كل غريم بغريمه ولاح الحوض وأكوابه وكثر العطاش وقل الوارد ونصب الجسر على جهنم للعبور ودفع الناس إليه وقسمت الأنوار دون ظلمته للعبور عليه والنار يحطم بعضها بعضا تحته والمتساقطون فيها أضعاف الناجين عندئذ ينفتح في قلبه عينا يبصر بها ذلك ويقوم بقلبه شاهدا من شواهد الآخرة ، يرى الآخرة دوما لا تغيب عنه ، ويرى الدنيا وسرعة انقضائها ..

الصحة والفراغ أعظم مغنم لمواصلة السير

فإذا رزق الإنسان بدنا يحمله على طاعة الله ووقتا يؤدى فيه هذه الطاعة فهذا من أعظم النعم وأجلها وفى الحديث عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : ((**نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ[1] فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنْ النَّاسِ الصِّحَّةُ**

(١) الغبن : النقص غبنه أنقصه أو غلبه ويعبر عنها في البيع .

وَالْفَرَاغُ »[1]. فالوقوف على المنهج الصحيح قد ييسر للعبد ولكن الثبات على الطريق والعمل لله ديمة بلا انقطاع قل من يوفق إليه .

قال تعالى : ﴿ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً ﴾ [الأحزاب : ٢٣]

المحن تمحص الرجال

تأمل قصة طالوت وما مر بأصحابه من محن واختبار ليميز الله الخبيث من الطيب .

يبين سبحانه وتعالى فيها مشقة الطريق وأن الذين يصلون قليل .. فتأمل معي هذه القصة وما فيها من عبر . فهي من أحكم الحاكمين ورب العالمين .

قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمْ ابْعَثْ لَنَا مَلِكاً نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمْ الْقِتَالُ أَلاَّ

---

(١) رواه البخاري (٥٩٣٣) .

تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلاَّ نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلاَّ قَلِيلاً مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ۞ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكاً قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ۞ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ۞ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلاَّ مَنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلاَّ قَلِيلاً مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاقُوا اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ

مَعَ الصَّابِرِينَ ۞ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ۞ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتْ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ۞ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنْ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [سورة البقرة : ٢٤٦ - ٢٥٢]

فانظر إلى هذا الابتلاء العظيم ملك معه جيش عرمرم خرجوا وهم عاقدين العزم علي الجهاد في سبيل الله فلما اختبر الله صدق عزمهم ما صدق إلا قليل ..

فعَنْ الْبَرَاءِ قَالَ كُنَّا أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ ﷺ نَتَحَدَّثُ : أَنَّ عِدَّةَ أَصْحَابَ بَدْرٍ عَلَى عِدَّةِ أَصْحَابِ طَالُوتَ ، الَّذِينَ جَاوَزُوا مَعَهُ النَّهَرَ ، وَلَمْ يُجَاوِزْ مَعَهُ إِلاَّ مُؤْمِنٌ ، بِضْعَةَ عَشَرَ وَثَلاَثَ مِائَةٍ[1].

(١) رواه البخاري (٣٩٥٨) .

فالسعيد من ثبته الله على الهداية وأقامه على الصراط المستقيم قال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذي أَنْزَلَ السَّكينَةَ في قُلُوب الْمُؤْمنينَ ليَزْدَادُوا إيمَاناً مَعَ إيمَانهمْ وَللَّه جُنُودُ السَّمَوَات وَالأَرْض وَكَانَ اللَّهُ عَليماً حَكيماً ﴾ [الفتح : ٤]

وقال تعالى في شأن أم موسى عليه السلام ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارغاً إنْ كَادَتْ لَتُبْدي به لَوْلا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبهَا لتَكُونَ منَ الْمُؤْمنينَ ﴾ [القصص : ١٠]

وقوله تعالى في شأن أصحب الكهف ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بالْحَقِّ إنَّهُمْ فتْيَةٌ آمَنُوا بربِّهمْ وَزدْنَاهُمْ هُدًى ۞ وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبهمْ إذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَات وَالأَرْض لَنْ نَدْعُوَ منْ دُونه إلَهاً لَقَدْ قُلْنَا إذاً شَطَطاً ﴾ [الكهف : ١٣- ١٤]

يقول تعالى في أهل الكهف : ﴿ وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبهمْ إذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَات وَالأَرْض لَنْ نَدْعُوَ منْ دُونه إلَهاً لَقَدْ قُلْنَا إذاً شَطَطاً ﴾ ، وهذا من أحسن الاستدلال والاستشهاد فإن هؤلاء كانوا بين

قومهم الكفار في خدمة ملكهم الكافر فما هو إلا أن وجدوا حقيقة الإيمان والتوفيق وذاقوا حلاوته وباشر قلوبهم فقاموا من بين قومهم وقالوا ربنا رب السموات والأرض الآية . والربط على قلوبهم يتضمن الشد عليها بالصبر والتثبيت وتقويتها وتأييدها بنور الإيمان حتى صبروا على هجران دار قومهم ومفارقة ما كانوا فيه من خفض العيش ، وفروا بدينهم إلى الكهف والربط على القلب عكس الخذلان ، فالخذلان حله من رباط التوفيق فيغفل عن ذكر ربه ويتبع هواه ويصير أمره فرطا والربط على القلب شده برباط التوفيق فيتصل بذكر ربه ويتبع مرضاته ويجتمع عليه شمله[1].

النشاط لا يدوم والهمة قد تضعف ، فالوحا الوحا النجاة النجاة فلم يبقى من الدنيا إلا صبابة كصبابة الإناء يتصابها صاحبها .

---

(١) تهذيب مدارج السالكين (ص ٤٧٣) .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَال : قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ : « **مَنْ خَافَ أَدْلَجَ وَمَنْ أَدْلَجَ**[١] **بَلَغَ الْمَنْزِلَ أَلاَ إِنَّ سِلْعَةَ اللَّه غَالِيَةٌ أَلاَ إِنَّ سِلْعَةَ اللَّه الْجَنَّةُ** » قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ[٢].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ « **لَنْ يُنَجِّيَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ** » قَالُوا : وَلاَ أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّه ؟ قَالَ : « **وَلاَ أَنَا إِلاَّ أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَةٍ سَدِّدُوا**[٣] **وَقَارِبُوا**[٤] **وَاغْدُوا**[٥] **وَرُوحُوا**[٦] **وَشَيْءٌ مِنَ الدُّلْجَةِ**[٧] **وَالْقَصْدَ الْقَصْدَ**[٨] **تَبْلُغُوا** »[٩].

---

(١) أدلج : السير أول الليل.

(٢) **صحيح** : رواه الترمذي (٢٤٥٠) .

(٣) السداد : الاستقامة والقصد .

(٤) قاربوا : اقتربوا من السداد وتوسطوا .

(٥) الغدوة : الخروج أول النهار .

(٦) الروحة : الخروج أخر النهار .

(٧) الدلجة : سير ساعة من الليل .

(٨) القصد القصد : الزموا طريق الوسط المعتدل .

(٩) رواه البخاري (٦٤٦٣) ، مسلم (٢٨١٦) .

وعلى هذا فالثبات على الهداية لا يعني أن يكون الإنسان على وتيرة واحدة في كل أمر ونهي وهذا قد يصعب ولكن ينظر في نفسه أي الطاعات أحب إلى قلبه فيكثر منها ثم إذا وجد خمول في أمر ما ينشط في أمر آخر ثم يعاود النشاط إلى الأول وهكذا ..

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « **لِكُلِّ عَمَلٍ شِرَّةٌ وَلِكُلِّ شِرَّةٍ فَتْرَةٌ فَمَنْ كَانَتْ فَتْرَتُهُ إِلَى سُنَّتِي فَقَدْ أَفْلَحَ وَمَنْ كَانَتْ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ فَقَدْ هَلَكَ** »[1].

فالصحابة ﷺ لم يكونوا على وتيرة واحدة بل كانوا ﷺ يعطون لكل وقت قدره ..

فعَنْ حَنْظَلَةَ الأُسَيِّدِيِّ ، وَكَانَ مِنْ كُتَّابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ : لَقِيَنِي أَبُو بَكْرٍ ، فَقَالَ : كَيْفَ أَنْتَ يَا حَنْظَلَةُ قَالَ : قُلْتُ نَافَقَ حَنْظَلَةُ قَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ مَا تَقُولُ قَالَ : قُلْتُ نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ حَتَّى

---

(١) صحيح : رواه أحمد (٦٩١٩) .

كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْد رَسُول اللَّه ﷺ عَافَسْنَا الأَزْوَاجَ وَالأَوْلاَدَ وَالضَّيْعَات فَنَسِينَا كَثِيرًا قَالَ أَبو بَكْر : فَوَاللَّه إِنَّا لَنَلْقَى مِثْلَ هَذَا فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى رَسُول اللَّه ﷺ قُلْتُ نَافَقَ حَنْظَلَةُ يَا رَسُولَ اللَّه فَقَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ « **وَمَا ذَاكَ** » قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّه نَكُونُ عِنْدَكَ تُذَكِّرُنَا بِالنَّار وَالْجَنَّة حَتَّى كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدكَ عَافَسْنَا الأَزْوَاجَ وَالأَوْلاَدَ وَالضَّيْعَات نَسِينَا كَثِيرًا فَقَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ : « **وَالَّذي نَفْسي بِيَده إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدي وَفِي الذِّكْر لَصَافَحَتْكُمْ الْمَلاَئكَةُ عَلَى فُرُشكُمْ وَفِي طُرُقكُمْ وَلَكنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً** »[1] ثَلاَثَ مَرَّات .

عَنْ ابْنِ عباس أَنَّ النبي ﷺ قالَ « **مَا مِنْ عبد مُؤمن إلا ولهُ ذنبٌ يعتادُهُ الفينةَ بعدَ الفينةَ أو ذَنبٌ هوَ مقيمٌ عليه لا يفارِقُهُ حتى يُفارقَ الدنيا إنَّ المؤمنَ خلــقَ مفتَّنا**

(١) رواه مسلم (٢٧٥٠) .

تواباً نسياً إذا ذُكِّرَ ذَكَرَ ››[1].

وعلى هذا فليعلم العبد أن الله ما أمر بأمر إلا وللشيطان فيه نزعتان إما إلى تفريط و إما إلى إفراط ولا يبالي من العبد أوصله إلى الزيادة أو النقص .

فهذا رسول الله ﷺ كان أتقى الناس وأعبد الناس لله ﷻ حتى كان يقوم من الليل فيعجز الصحابي أن يواصل معه ...

فعَنْ عَبْد اللَّه ﷺ قَالَ صَلَّيْتُ مَعَ النَّبيِّ ﷺ لَيْلَةً فَلَمْ يَزَلْ قَائمًا حَتَّى هَمَمْتُ بأَمْر سَوْء قُلْنَا وَمَا هَمَمْتَ قَالَ هَمَمْتُ أَنْ أَقْعُدَ وَأَذَرَ النَّبيَّ ﷺ [٢].

ورغم ذلك عاب على من حاول أن يزيد عليه ..

فعن أَنَس بْن مَالك ﷺ قالُ جَاءَ ثَلاثَةُ رَهْط إلَى بُيُوت أَزْوَاجِ النَّبيِّ ﷺ يَسْأَلُونَ عَنْ عبَادَة النَّبيِّ ﷺ فَلَمَّا

---

(١) **صحيح** : رواه الطبراني [الكبير : ١٠/١٠٦٦٦-١١/١١٨١٠-١٢/١٢٤٥٧]- [الأوسط : ٦/٥٨٨٤] ، ورواه عبد بن حميد [المنتخب : ٦٧٤] ، وغيرهم .

(٢) رواه **البخاري** (١١٣٥) ، **مسلم** (٧٧٣) .

أُخبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا ، فَقَالُوا : وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ قَالَ أَحَدُهُمْ : أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا ، وَقَالَ آخَرُ : أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلاَ أُفْطِرُ ، وَقَالَ آخَرُ : أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلاَ أَتَزَوَّجُ أَبَدًا فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَيْهِمْ فَقَالَ ((**أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي**))(١).

وعَنْ عَائِشَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَيْهَا وَعِنْدَهَا امْرَأَةٌ قَالَ : ((**مَنْ هَذِهِ ؟**)) قَالَتْ فُلاَنَةُ تَذْكُرُ مِنْ صَلاَتِهَا قَالَ : ((**مَهْ عَلَيْكُمْ بِمَا تُطِيقُونَ فَوَاللَّهِ لاَ يَمَلُّ اللَّهُ حَتَّى تَمَلُّوا وَكَانَ أَحَبَّ الدِّينِ إِلَيْهِ مَادَامَ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ**))(٢).

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَرَأَى حَبْلاً مَمْدُودًا بَيْنَ سَارِيَتَيْنِ فَقَالَ : ((**مَا هَذَا**

---

(١) رواه البخاري (٥٠٦٣) ، مسلم (١٤٠١) .
(٢) رواه البخاري (٤٣) ، مسلم (٧٤١) .

الْحَبْلُ ؟ » فَقَالُوا لِزَيْنَبَ تُصَلِّي فَإِذَا فَتَرَتْ تَعَلَّقَتْ به فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « **حُلُّوهُ لِيُصَلِّ أَحَدُكُمْ نَشَاطَهُ فَإِذَا فَتَرَ فَلْيَقْعُدْ** »[1].

فانظر في نفسك أي الأعمال إلى ربك أحب ودرب نفسك على إتيانها والمداومة عليها فإن وقعت الفترة وقل النشاط فقلب نفسك بين الطاعات وتشبث بأمر منها حتى تعاود النشاط فترجع إلى عملك الأول وإياك إياك أن تخل بالفرائض فهي علامة خذلان العبد والله المستعان .

ومن أعظم وسائل الثبات

١ – المحبة .

وهى أفرض الواجبات إذ هي قلب العبادة المأمور بها وهى المنْزلة التي فيها يتنافس المتنافسون وإليها شخص العاملون فحب الله والرسول ومحبة أهل الإيمان ومعاداة الباطل وأهله من أعظم وسائل الثبات .. والحب يورث

(١) صحيح : رواه النسائي (١٦٢٥) ، ابن ماجه (١٣٧١) ، وفي أحمد (١٢٥٠٤ – ١٢٧٠٨ – ١٣٢٧٨) لحمنة .

ذل .. وكلما زاد الحب زاد الذل فأنت أشد ذلا لأشدهم حبا ولذلك جعل سبحانه من يسوِّي معه غيره في المحبة شركا قال تعالى : ﴿ **وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ** ﴾ [سورة البقرة : ١٦٥]

فإن المحب ذليل بالذات وعلى قدر محبته له يكون ذله فالمحبة أسست على الذل للمحبوب كما قيل :

اخضــع وذل لمــن تحب فليس

في حكم الهوى أنف يشال ويعقد

وقال آخر :

مساكين أهل الحب حتى قبورهم

عليهـــا تراب الذل بين المقـــابر

وكمال المحبة وتمامها لابد أن يكون لله ثم كل محبة لابد أن تكون تابعة لهذه المحبة .

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : ((**ثَلاَثٌ**

مَنْ كُنَّ فيه وَجَدَ حَلاَوَةَ الإِيمَان : أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا ، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لاَ يُحِبُّهُ إِلاَّ لِلَّه وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ))[1].

فمحبتك لله ﷻ يترتب عليها قربك منه وإيثار محابه على محاب من سواه عند ذلك تحصل محبة الله لك وهذا غاية فلاح العبد ، فإذا خرج العبد عما خلق له من الطاعة والعبودية فقد خرج عن أحب الأشياء إليه وعن الغاية التي لأجلها خلقت الخليقة وصار كأنه خلق عبثا لغير شيء إذ لم تخرج أرضه البذر الذي وضع فيها بل قلبته شوكا ودغلا ، فإذا رجع إلى ما خلق له وأوجد لأجله فقد رجع إلى الغاية التي هي أحب الأشياء إلى خالقه وفاطره .. ورجع إلى مقتضى الحكمة التي خلق لأجلها ، وخرج عن معنى العبث والسدى والباطل ، فاشتدت محبة الرب له فإن الله يحب التوابين ويحب

---

(١) رواه البخاري (١٦) ، مسلم (٤٣) .

المتطهرين ، فأوجبت هذه المحبة فرحا كأعظم ما يقدر من الفرح ولو كان في الفرح المشهود في هذا العالم نوع أعظم من هذا الذي ذكره النبي لذكره ولكن لا فرحة أعظم من فرحة هذا الواجد الفاقد لمادة حياته وبلاغه في سفره بعد إياسه من أسباب الحياة بفقده ، وهذا كشدة محبته لتوبة التائب المحب إذا اشتدت محبته للشيء وغاب عنه ثم وجده وصار طوع يده فلا فرحة أعظم من فرحته به ، فما الظن بمحبوب لك تحبه حبا شديدا أسره عدوك وحال بينك وبينه وأنت تعلم أن العدو سيسومه سوء العذاب ويعرضه لأنواع الهلاك وأنت أولى به منه وهو غرسك وتربيتك ثم إنه انفلت من عدوه ووافاك على غير ميعاد فلم يفجأك إلا وهو على بابك يتملقك ويترضاك ويستعينك ويمرغ خديه على تراب أعتابك فكيف يكون فرحك به وقد اختصصته لنفسك ورضيته لقربك وآثرته على من سواه هذا ولست الذي أوجدته وخلقته وأسبغت عليه نعمك **والله** ﷻ هو الذي أوجد عبده وخلقه وكونه

وأسبغ عليه نعمه وهو يحب أن يتمها عليه فيصير مظهرا لنعمه قابلا لها شاكرا لها محبا لوليها مطيعا له عابدا له معاديا لعدوه مبغضا له عاصيا له والله تعالى يحب من عبده معاداة عدوه ومعصيته ومخالفته كما يحب أن يوالى الله مولاه سبحانه ويطيعه ويعبده فتنضاف محبته لعبادته وطاعته والإنابة إليه إلى محبته لعداوة عدوه ومعصيته ومخالفته فتشتد المحبة منه سبحانه ، فتنعقد له الولاية من الله ﷻ .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ : « **إنَّ اللَّهَ قَالَ : مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا وَإِنْ سَأَلَنِي لأُعْطِيَنَّهُ وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَــوْتَ وَأَنَا**

أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ))[1].

وجملة فالمحبة هي : روح الإيمان والأعمال والمقامات والأحوال التي متى خلت منها فهي كالجسد الذي لا روح فيه تحمل أثقال السائرين إلى بلاد لم يكونوا إلا بشق الأنفس بالغيها ، وتوصلهم إلى منازل لم يكونوا بدونها أبدا واصليها ، وتبوؤهم من مقاعد الصدق مقامات لم يكونوا لولاها داخليها ، وهي مطايا القوم التي مسراهم على ظهورها دائما إلى الحبيب وطريقهم الأقوم الذي يبلغهم إلى منازلهم الأولى من قريب تالله لقد ذهب أهلها بشرف الدنيا والآخرة إذ لهم من معية محبوبهم أوفر نصيب وقد قضى الله يوم قدر مقادير الخلائق بمشيئته وحكمته البالغة أن المرء مع من أحب ، فيالها من نعمة على المحبين سابغة تالله لقد سبق القوم السعاة وهم على ظهور الفرش نائمون وقـــد تقدموا الركب بمراحل وهم في سيرهم واقفون .

---

(١) رواه **البخاري** (٦٥٠٢) .

من لــي بمثل سيرك المدلـــل
تمشي رويدا وتجي في الأول

أجابوا منادي الشوق إذ نادى بهم حي على الفلاح وبذلوا نفوسهم في طلب الوصول إلى محبوبهم وكان بذلهم بالرضى والسماح وواصلوا إليه المسير بالإدلاج والغدو والرواح تالله لقد حمدوا عند الوصول سراهم . وشكروا مولاهم على ما أعطاهم ، وإنما يحمد القوم السرى عند الصباح[1].

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [المائدة : ٥٤]

(١) تهذيب مدارج السالكين (٤٥٣) .

فقد ذكر لهم أربع علامات :

أحدها : أنهم أذلة على المؤمنين قيل معناه أرقاء رحماء مشفقين عليهم عاطفين عليهم فلما ضمن أذلة هذا المعنى عداه بأداة على قال عطاء : للمؤمنين كالولد لوالده والعبد لسيده .

الثانية : أعزة على الكافرين .. على الكافرين كالأسد على فريسته أشداء على الكفار رحماء بينهم .

الثالثة : الجهاد في سبيل الله بالنفس واليد واللسان والمال وذلك تحقيق دعوى المحبة .

الرابعة : أنهم لا تأخذهم في الله لومة لائم وهـذا علامة صحة المحبة فكل محب يأخذه اللوم عن محبوبه فليس بمحب على الحقيقة[1].

ولذلك جمع الله سبحانه وحدد صورة الولاية .

قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ۝

---

(١) تهذيب مدارج السالكين (٤٦٠) .

وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمْ الْغَالِبُونَ ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُواً وَلَعِباً مِنْ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾

[المائدة : ٥٥ - ٥٧]

٢- الخوف من الله .

وهو رأس العبادة وتاج الكرامة ومفتاح كل خير وهي فرض على جميع المكلفين ..

قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا ذَلِكُمْ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِي إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران : ١٧٥]

وقال تعالى : ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُون ﴾ [سورة البقرة : ٤٠]

وقال تعالى : ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلا تَخْشَوْا النَّاسَ وَاخْشَوْنِي وَلا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي

ثَمناً قَليلاً وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْكَافِرُونَ ﴾ [المائدة : ٤٤]

وَقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ۞ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ۞ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لا يُشْرِكُونَ ۞ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ۞ أُوْلَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴾ [المؤمنون : ٥٧ - ٦١]

عَنَّ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ هَذِهِ الآيَةِ ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ﴾ قَالَتْ عَائِشَةُ : أَهُمْ الَّذِينَ يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ وَيَسْرِقُونَ ؟ قَالَ : « لاَ يَا بِنْتَ الصِّدِّيقِ وَلَكِنَّهُمْ الَّذِينَ يَصُومُونَ وَيُصَلُّونَ وَيَتَصَدَّقُونَ وَهُمْ يَخَافُونَ أَنْ لاَ يُقْبَلَ مِنْهُمْ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ »[1].

---

(١) حسن : رواه الترمذي (٣١٧٥) ، ابن ماجة (٤١٩٨) ، أحمد (٢٥١٧٧) .

قال الحسن : عملوا والله بالطاعات واجتهدوا فيها وخافوا أن ترد عليهم .. إن المؤمن جمع إحسانا وخشية ، والمنافق جمع إساءة وأمنا ..

وعلى قدر العلم والمعرفة يكون الخوف والخشية كما رُوي عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ نَاسًا كَانُوا يَتَعَبَّدُونَ عِبَادَةً شَدِيدَةً فَنَهَاهُمْ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ : « **وَاللَّه إِنِّي لأَعْلَمُكُمْ بِاللَّه عَزَّ وَجَلَّ وَأَخْشَاكُمْ لَهُ وَكَانَ يَقُولُ عَلَيْكُمْ من الْعَمَلِ مَا تُطِيقُونَ فَإِنَّ اللَّهَ ﷻ لاَ يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا** »[1].

وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ « **إِنِّي أَرَى مَا لاَ تَرَوْنَ وَأَسْمَعُ مَا لاَ تَسْمَعُونَ أَطَّتْ السَّمَاءُ وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعَ إِلاَّ وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِدًا لِلَّه وَاللَّه لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا وَمَا تَلَذَّذْتُمْ بِالنِّسَاءِ عَلَى الْفُرُشِ وَلَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعُدَاتِ تَجْأَرُونَ إِلَى اللَّه لَوَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ شَجَرَةً تُعْضَدُ** » .

---

(١) صحيح : رواه أحمد (٢٤٣٩١) .

قَال الترمذيُ هَذَا حَديثٌ حَسَنٌ غَريبٌ وَيُرْوَى مِنْ غَيْرِ هَذَا الْوَجْه أَنَّ أَبَا ذَرٍّ قَالَ : لَوَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ شَجَرَةً تُعْضَدُ[1].

فصاحب الخــوف يلتجئ إلى الهرب والإمساك وصاحب الخشية يلتجئ إلى الاعتصام بالعلم ..

قال أبو حفص : الخوف سوط الله يقوم به الشاردين عن بابه وقال : الخوف سراج في القلب به يبصر ما فيه من الخير والشر . وكل أحد إذا خفته هربت منه إلا **الله** ﷻ فإنك إذا خفته هربت إليه فالخائف هارب من ربه إلى ربه .

قال أبو سليمان : ما فارق الخوف قلبا إلا خرب .

وقال إبراهيم بن سفيان : إذا سكن الخوف القلوب أحرق مواضع الشهوات منها وطرد الدنيا عنها ..

وقال ذو النون : الناس على الطـــريق ما لم يزل عنهم

---

(١) **صحيح** : رواه الترمذي (٢٣١٢) ، ابن ماجة (٤١٩٠) ، أحمـــد (٢١٠٠٥) .

الخوف فإذا زال عنهم الخوف ضلوا عن الطريق ..

وقال حاتم الأصم : لا تغتر بمكان صالح فلا مكان أصلح من الجنة ولقي فيها آدم ما لقي .. ولا تغتر بكثرة العبادة فإن إبليس بعد طول العبادة لقي ما لقي .. ولا تغتر بكثرة العلم فإن بلعام بن باعورا لقي ما لقي وكان يعرف الاسم الأعظم .. ولا تغتر بلقاء الصالحين ورؤيتهم فلا شخص أصلح من النبي ﷺ ولم ينتفع بلقائه أعداؤه والمنافقون ...

والخوف ليس مقصودا لذاته بل هو مقصود لغيره قصد الوسائل ولهذا يزول بزوال المخوف فإن أهل الجنة لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، والخوف يتعلق بالأفعال .. والمحبة تتعلق بالذات والصفات .. ولهذا تتضاعف محبة المؤمنين لربهم إذا دخلوا دار النعيم ولا يلحقهم فيها خوف ولهذا كانت منْزلة المحبة ومقامها أعلى وأرفع من منْزلة الخوف ومقامه والخوف المحمود الصادق : ما حال بين صاحبه وبين محارم الله ﷻ .

القلب في سيره إلى الله ﷻ بمنْزلة الطائر فالمحبة رأسه والخـــوف والرجاء جناحاه ، فمتى سلم الرأس والجناحان فالطير جيد الطيران ، ومتى قطع الرأس مات الطائر ، ومتى فقد الجناحان فهو عرضة لكل صائد وكاسر ، ولكن السلف استحبوا أن يقوى في الصحة جناح الخوف على جناح الرجاء وعند الخروج من الدنيا يقوى جناح الرجاء على جناح الخوف . هذه طريقة أبي سليمان وغيره قال : ينبغي للقلب أن تكون الغالب عليه الخوف فإن غلب عليه الرجاء فسد ، وقال غيره . أكمل الأحوال اعتدال الرجاء والخوف وغلبة الحب فالمحبة هي المركب والرجاء حادٍ والخوف سائق والله الموصل بمنه وكرمه[1].

٣- التوكل على الله .

وهو سر سير السائرين واجتهاد المجدين فالعبد ضعيف ولولا تيسير الله له وعونه إياه ما قدر على طاعة .. ولعلك ترى السر في طلب الاستعانة بعد العبادة في فاتحة الكتاب

(١) تهذيب مدارج السالكين (٢٤٦) .

قال تعالى : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة : ٥] والاستعانة تجمع أصلين الثقة بالله والاعتماد عليه فإن العبد قد يثق بالواحد من الناس ولا يعتمد عليه في أموره مع ثقته به لاستغنائه عنه وقد يعتمد عليه مع عدم ثقته به لحاجته إليه ولعدم من يقوم مقامه فيحتاج إلى اعتماده عليه مع أنه غير واثق به والتوكل معنى يلتئم من أصلين : من الثقة والاعتماد وهو حقيقة **﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ .. ﴾** .

وقد ورد ذكر التوكل والعبادة في أكثر من موضع من كتاب الله تعالى .

قال تعالى : ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقاً حَسَناً وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ [هود : ٨٨]

وقال تعالى : ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ

الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّه وَحْدَهُ إِلاَّ قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّه مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾
[الممتحنة : ٤]

وقال تعالى : ﴿ وَلِلَّه غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [هود : ١٢٣]

وقال تعالى : ﴿ وَاذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً ۞ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلاً ﴾
[المزمل : ٨ - ٩]

وقال تعالى : ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقاً حَسَناً وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّه عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ [هود : ٨٨]

إذ العبادة غاية العبـــاد التي خلقوا لها والاستعانة وسيلة إليها .. والاستعانة هي حال للقلب ينشأ عن

معرفته بالله والإيمان بتفرده بالخلق والتدبير والضر والنفع والعطاء والمنع ، وأنه ما شاء كان وإن لم يشأ الناس وما لم يشأ لم يكن وإن شاءه الناس ، فيوجب له هذا اعتمادا عليه وتفويضا إليه وطمأنينة به وثقة به ويقينا بكفايته لما توكل عليه فيه وأنه ملي به ولا يكون إلا بمشيئته شاءه الناس أم أبوه ، فتشبه حالته حالة الطفل مع أبويه فيما ينويه من رغبة ورهبة هما مليان بهما فانظر في تجرد قلبه عن الالتفات إلى غير أبويه وحبس همه على إنزال ما ينويه بهما فهذه حال المتوكل ومن كان هكذا مع الله فالله كافيه ولا بد .

قال الله تعالى : ﴿ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً ﴾ [الطلاق : ٣]

ومن يتوكل على الله فهو حسبه أي كافيه ، والحسب الكافي . فإن كان مع هذا من أهل التقوى كانت له العاقبة الحميدة .

٤- العبادة .. بالإخلاص والمتابعة .

أهل الإخلاص للمعبود والمتابعة وهم أهل لا إله إلا الله حقيقة فأعمالهم كلها لله وأقوالهم لله وعطاؤهم لله ومنعهم لله وحبهم لله وبغضهم لله فمعاملتهم ظاهرا وباطنا لوجه الله وحده ، لا يريدون بذلك من الناس جزاء ولا شكورا ولا ابتغاء الجاه عندهم ولا طلب المحمدة والمنْزلة في قلوبهم ولا هربا من ذمهم بل قد عدوا الناس بمنْزلة أصحاب القبور لا يملكون لهم ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا فالعمل لأجل الناس وابتغاء الجاه والمنْزلة عندهم ورجائهم للضر والنفع منهم لا يكون من عارف بهم ألبته ، بل من جاهل بشأنهم وجاهل بربه ، فمن عرف الناس أنزلهم منازلهم ومن عرف الله أخلص له أعماله وأقواله وعطاءه ومنعه وحبه وبغضه ولا يعامل أحد الخلق دون الله إلا لجهله بالله وجهله بالخلق وإلا فإذا عرف الله وعرف الناس آثر معاملة الله على معاملتهم وكذلك أعمالهم كلها وعبادتهم موافقة لأمر الله ولما يحبه

ويرضاه وهذا هو العمل الذي لا يقبل الله من عامل سواه وهو الذي بلا عباده أشبه بالموت والحياة لأجله .

قال الله تعالى : ﴿ الَّذي خَلَقَ الْمَـوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴾

[الملك : ٢]

وجعل ما على الأرض زينة لها ليختبرهم أيهم أحسن عملا .

قال الفضيل بن عياض : العمل الحسن هو أخلصه وأصوبه ، قالوا : يا أبا علي ما أخلصه وأصوبه ؟ قال : إن العمل إذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل ، وإذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل حتى يكون خالصا صوابا ..

والخالص : ما كان لله **والصواب** : ما كان متابعا لرسوله ﷺ . بل وجعل الشرط الثاني « المتابعة » دلالة على محبة الله .. **قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمْ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾** [آل عمران : ٣١]

وهي تسمى آية المحبة قال أبو سليمان الداراني : لما ادعت القلوب محبة الله أنزل الله لها محنة ﴿ **قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمْ اللَّهُ** ﴾ .

وقال الحسن : ادعى قوم محبة الله فأنزل الله آية المحنة ﴿ **قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمْ اللَّهُ** ﴾ وقال يحببكم الله إشارة إلى دليل المحبة وثمرتها وفائدتها فدليلها وعلامتها اتباع الرسول وفائدتها وثمرتها محبة المرسل لكم فما لم تحصل المتابعة فليست محبتكم له حاصلة ومحبته لكم منتفية . ولا تكـــون المتابعة سليمة إلا بموافقة السلف ﷺ من الصحابة ومن تبعهم بإحسان ..

قال تعالى : ﴿ **وَمَنْ يُشَاقِقْ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً** ﴾ [النساء : ١١٥]

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَـــالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ((**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ**))[١] .

---

(١) رواه البخاري (٢٦٩٧) ، مسلم (١٧٨١) .

وفي رواية لمسلم عن عَائشَةُ أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ : ((**مَنْ عَملَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْه أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**))[1]

فالحديث الأول أصل في البدع التي ليس له أصل سابق .. والثاني أصل في البدع التي على فهم خاطئ .

فليحذر العبد أن يخالف ما كان عليه السلف ﷺ فإن شؤم البدعة يحول بين العبد وبين سيره إلى الله ﷻ **قال تعالى** : ﴿ **فَلْيَحْذَرْ الَّذينَ يُخَالفُونَ عَنْ أَمْرِه أَنْ تُصيبَهُمْ فتْنَةٌ أَوْ يُصيبَهُمْ عَذَابٌ أَليمٌ** ﴾ [النور : ٦٣]

وهناك صور كثيرة من اجتهاد السلف في العبادة ﷺ أفردتها في رسالة مستقلة بعنوان ((صور من اجتهاد السلف في العبادة)) .

٥- دوام المحاسبة .

قال تعالى : ﴿ **إنَّ الَّذينَ اتَّقَوْا إذَا مَسَّهُمْ طَائفٌ منْ الشَّيْطَان تَذَكَّرُوا فَإذَا هُمْ مُبْصرُونَ** ﴾ [الأعراف : ٢٠١]

---

(١) رواه مسلم : (١٧٨١) .

فبمعرفة العبد لربه وصفاته من قدرته وكفايته وقيوميته وما يحتاج إليه العبد من تمييز ماله مما عليه ليستصحب ماله ويؤدي ما عليه ..

وبالمحاسبة يستمر العبد على تمام المحبة مع كمال العبادة **قال تعالى** : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ** ﴾ [الحشر : ١٨]

والمحاسبة تتوقف على نور الحكمة وهو النور الذي نور الله به قلوب أتباع الرسل فبقدره ترى التفاوت بين العباد وتتمكن من المحاسبة .

ونور الحكمة ههنا هو العلم الذي يميز به العبد بين الحق والباطل ، والهدى والضلال ، والضار والنافع ، والكامل والناقص ، والخير والشر ، ويبصر به مراتب الأعمال راجحها ومرجوحها ومقبولها ومردودها ، وكلما كان حظه من هذا النور أقوى كان حظه من المحاسبة أكمل وأتم .

وكذلك مع سوء الظن بالنفس .. فأما سوء الظن بالنفس فإنما احتيج إليه لأن حسن الظن بالنفس يمنع من كمال التفتيش ويلبس عليه فيرى المساوئ محاسن والعيوب كمالاً فإن المحب يرى مساوىء محبوبه وعيوبه محاسن .

فعين الرضى عن كل عيب كليلة كما أن عين السخط تبدي المساويا ، ولا يسيء الظن بنفسه إلا من عرفها ومن أحسن ظنه بنفسه فهو من أجهل الناس بنفسه **وأما تمييز النعمة من الفتنة** فليفرق بين النعمة التي يرى بها الإحسان واللطف ويعان بها على تحصيل سعادته الأبدية ، وبين النعمة التي يرى بها الإستدراج **فكم من مستدرج بالنعم وهو لا يشعر مفتون بثناء الجهال عليه مغرور بقضاء الله حوائجه وستره عليه** .

وأكثر الخلق عندهم أن هذه الثلاثة علامة السعادة والنجاح .. ذلك مبلغهم من العلم ، فإذا كملت هذه الثلاثة فيه عرف حينئذ أن ما كان من نعم الله عليه بجمعه على الله فهو نعمة حقيقة .. وما فرقه عنه وأخذه منه فهو

البلاء في صورة النعمة .. والمحنة في صورة المنحة .. فليحذر فإنما هو مستدرج ..

ثبات رسل الله على الهداية . ورسل الله من أعظم الناس ثباتاً وأولاهم سيراً إلى الله وأسرعهم قرباً منه سبحانه وتعالى .

نوح عليه السلام

أنظر إلى هذا النبي كم مكث في قومه مقيما على الحق .. بل يدعوهم إليه بدون انقطاع ..كم له مع قومه من جولات وكم لقي منهم من صعاب أنظر إلى الوصف القرآني ..

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِه فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَة إِلاَّ خَمْسِينَ عَاماً فَأَخَذَهُمْ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ [العنكبوت : ١٤]

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِه إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ۞ أَنْ لا تَعْبُدُوا إِلاَّ اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ۞ فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ

قَوْمِه مَا نَرَاكَ إلاَّ بَشَراً مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ۞ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ ۞ وَيَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالاً إِنْ أَجْرِيَ إلاَّ عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلاقُو رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْماً تَجْهَلُونَ ۞ وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنصُرُنِي مِنْ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلا تَذَكَّرُونَ ۞ وَلا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمْ اللَّهُ خَيْراً اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنفُسِهِمْ إِنِّي إِذاً لَمِنْ الظَّالِمِينَ ۞ قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنتَ مِنْ الصَّادِقِينَ ۞ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ۞ وَلا يَنفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۞ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ

إنْ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ ۞ وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إلاَّ مَنْ قَدْ آمَنَ فَلا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ۞ وَاصْنَعْ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ ۞ وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ۞ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ ۞ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلاَّ مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ ۞ وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِاسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ۞ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلاَ تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ ۞ قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنْ الْمَاءِ قَالَ لاَ عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلاَّ مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنْ الْمُغْرَقِينَ ۞ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَاسَمَاءُ

أَقْلعي وَغيضَ الْمَاءُ وَقُضيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُوديِّ وَقيلَ بُعْداً للْقَوْمِ الظَّالمينَ ﴾ [هود : ٢٥- ٤٤]

هود عليه السلام

وهذا هود عليه السلام رغم قلة الأتباع وسفاهة قومه ثبت على أمر الله بل تحداهم بقلب ثابت أن يبلغوا ضره بأمر لم يقدره الله عليه ..

قال تعالى : ﴿ وَإِلَى عَاد أَخَاهُمْ هُوداً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ منْ إِله غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ مُفْتَرُونَ ۞ يَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْه أَجْراً إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى الَّذي فَطَرَني أَفَلا تَعْقلُونَ ۞ وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْه يُرْسلْ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مدْرَاراً وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتكُمْ وَلا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمينَ ۞ قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَة وَمَا نَحْنُ بتَاركي آلهَتنَا عَنْ قَوْلكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بمُؤْمنينَ ۞ إِنْ نَقُولُ إِلاَّ اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلهَتنَا بسُوء قَالَ إِنِّي أُشْهدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ ممَّا تُشْرِكُونَ ۞ منْ دُونه فَكيدُوني جَميعاً ثُمَّ لا تُنْظرُونِ ۞ إِنِّي تَوَكَّلْتُ

عَلَى اللَّه رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا منْ دَابَّة إلاَّ هُوَ آخذٌ بنَاصيَتهَا إنَّ رَبِّي عَلَى صرَاط مُسْتَقيم ۞ فَإن تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسلْتُ به إلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلفُ رَبِّي قَوْماً غَيْرَكُمْ وَلا تَضُرُّونَهُ شَيْئاً إنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفيظٌ ۞ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُوداً وَالَّذينَ آمَنُوا مَعَهُ برَحْمَة منَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ منْ عَذَاب غَليظ ۞ وَتلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بآيَات رَبِّهمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّار عَنيد ۞ وَأُتْبعُوا في هَذه الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقيَامَة أَلا إنَّ عَاداً كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلا بُعْداً لعَاد قَوْم هُود ﴾ [هود : ٥٠ - ٦٠]

انظر إلى قوله : ﴿ إنَّ رَبِّي عَلَى صرَاط مُسْتَقيم ﴾ وتأمل كيف ذكر هذا عقيب قوله : ﴿ إنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّه رَبِّي وَرَبِّكُمْ ﴾ أي : هو ربي فلا يسلمني ولا يضيعني وهو ربكم فلا يسلطكم علي ولا يمكنكم مني فإن نواصيكم بيده لا تفعلون شيئا بدون مشيئته فإن ناصية كل دابة بيده لا يمكنها أن تتحرك إلا بإذنه فهو المتصرف فيها ومع هذا فهو في تصرفه فيها وتحريكه لها ونفوذ

قضائه وقدره فيها على صراط مستقيم لا يفعل ما يفعل من ذلك إلا بحكمة وعدل ومصلحة ولو سلطكم عليَّ فله من الحكمة في ذلك ماله الحمد عليه لأنه تسليط من هو على صراط مستقيم لا يظلم ولا يفعل شيئا عبثا بغير حكمة .

إبراهيم عليه السلام

أتدري كم أتباعه ؟.. رفيقةُ درب .. زوجة صالحة .. والعالم بأسره في جانب آخر . بلغ معهم أسباب الهداية ولكنهم عاندوه وحاربوه بل ألقوه في النار ليحرقوه فخرج منها سليما معافا ، ورغم ذلك ما تبعه أحد فخرج من بين أهله وعشيرته ووطنه ودار إقامته العراق إلى أرض فلسطين ثم إلى بلاد مصر فتقع له فتنة عظيمة ينجيه الله منها ثم يعود إلى أرض فلسطين ورغم ذلك ما زاد أتباعه إلا واحد .. لوط عليه السلام .

قال تعالى : ﴿ فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [العنكبوت : ٢٦]

تأمل معي وصف القرآن لثباته على الحق وجهره بدعوته رغم قلة الأتباع وإلى عظيم ما وقع له من بلاء .

قال تعالى : ﴿ وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لإِبْرَاهِيمَ ۞ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ۞ إِذْ قَالَ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ ۞ أَئِفْكاً آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ ۞ فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ۞ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ۞ فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ۞ فَرَاغَ إِلَى آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلا تَأْكُلُونَ ۞ مَا لَكُمْ لا تَنطِقُونَ ۞ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْباً بِالْيَمِينِ ۞ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ۞ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ۞ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ۞ قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَاناً فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ ۞ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْداً فَجَعَلْنَاهُمْ الأَسْفَلِينَ ۞ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ ۞ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ الصَّالِحِينَ ۞ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلامٍ حَلِيمٍ ۞ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ الصَّابِرِينَ ۞ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ

للْجَبين ۞ وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ ۞ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۞ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلاءُ الْمُبِينُ ۞ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ۞ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ ۞ سَلامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ۞ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۞ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الصافات : ٨٣ - ١١١]

موسى عليه السلام

وهذا موسى عليه السلام تربى في بلاط فرعون فلم يمنعه ذلك من ثباته على الحق وغيرته للمستضعفين من بني جنسه أن يستذلهم فرعون بل وانطلق داعيا إلى الله يبلغ فرعون أمر ربه ويقيم الحجة على أتباعه ومن غرر بهم من أهل مملكته ..

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنْ ائْت الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۞ قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلا يَتَّقُونَ ۞ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُون ۞ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ ۞ وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُون ۞ قَالَ كَلاَّ فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ ۞ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ

فَقُولا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ۞ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيداً وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ۞ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنْ الْكَافِرِينَ ۞ قَالَ فَعَلْتُهَا إِذاً وَأَنَا مِنْ الضَّالِّينَ ۞ فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْماً وَجَعَلَنِي مِنْ الْمُرْسَلِينَ ۞ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ۞ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ۞ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنتُمْ مُوقِنِينَ ۞ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلا تَسْتَمِعُونَ ۞ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمْ الأَوَّلِينَ ۞ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ۞ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ۞ قَالَ لَئِنْ اتَّخَذْتَ إِلَهَاً غَيْرِي لأَجْعَلَنَّكَ مِنْ الْمَسْجُونِينَ ۞ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ ۞ قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنْ الصَّادِقِينَ ۞ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ۞ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ ۞ قَالَ لِلْمَلإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ۞ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ

مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ۞ قَالُوا أَرْجِهِ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ۞ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ۞ فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ۞ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ ۞ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ۞ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ۞ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ۞ قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ ۞ فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ ۞ فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ۞ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ ۞ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ۞ قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ۞ قَالُوا لا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ۞ إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الشعراء: ١٠ - ٥١]

في نهاية المطاف يخرج موسى بقومه إلى أرض فلسطين ولكنه يخطئ الطريق فإذا بالبحر أمامه وفرعون وجنوده من خلفه .. فتخيل معي هذا الوصف .

قال تعالى : ﴿ فَأَتْبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ ۞ فَلَمَّا تَرَاءَا الْجَمْعَان قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ۞ قَالَ كَلاَّ إِنَّ مَعِي رَبِّي سَيَهْدِين ۞ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ۞ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الآخَرِينَ ۞ وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ۞ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الآخَرِينَ ۞ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ۞ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾

[الشعراء : ٦٠ - ٦٨]

صاحب ياسين

رجل بسيط قيل : كان يعمل نجارا في أطراف المدينة ليس له أعوان فضلا عمن ينصره .. أرسل الله إلى مدينته ثلاثة من الرسل ما تبعهم أحد بل هموا برجمهم أو إخراجهم .. ولكنه ثبت على الحق واستمر على طريق الهداية وأعلن

لقومه إتباعه للرسل وإيمانه **بالله** ﷻ ..

قال تعالى : ﴿ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ۞ اتَّبِعُوا مَنْ لا يَسْأَلُكُمْ أَجْراً وَهُمْ مُهْتَدُونَ ۞ وَمَا لِي لا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۞ أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِي الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً وَلا يُنقِذُونَ ۞ إِنِّي إِذاً لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ ۞ إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ ۞ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ۞ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ۞ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُندٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ۞ إِنْ كَانَتْ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ ﴾ [يس : ٢٠ - ٢٩]

أصحاب الأخدود

شيخ راهب قد انزوى عن الناس واعتزل في شعب يعبد **الله** ﷻ مر به غلام أرسله الملك ليتعلم السحر عند ساحر الملك ليخلفه فدعاه الراهب إلى الله فآمن الغلام وكان سببا في هداية أمةٍ بأسرها فأمر الملك بحرق من آمن

بالله بعد أن قتل الغلام شق الأخاديد وأضرم فيها النار وامتحن فيها العباد .. من آمن ألقاه في النار .. كان في مؤخرة القوم امرأة معها غلام فترددت خافت على غلامها ، لقد رأت ما لا يراه الناس لحما يشوى أمامها وعظاما تلوح ، تشم ما لا يشمه الناس رائحة الدهن تزكم الأنوف ، تسمع ما لا يسمعه الناس أنين سرعان ما يغيب ، وفي هذا الجو الرهيب ينطق الله الغلام فتنْزل على قلبها السكينة أثبتي يا أماه إنك على الحق .. نزل في هذا قرآنا يتلى :

قال تعالى : ﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ۞ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ۞ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۞ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ۞ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ۞ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۞ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۞ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاَّ أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ۞ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۞ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ۞ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا

الصَّالحَات لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْري منْ تَحْتهَا الأَنْهَارُ ذَلكَ الْفَوْزُ الْكَبيرُ ۞ إنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَديدٌ ﴾ [البروج : ١ - ١٢]

أصحاب الكهف

مجموعة من الشباب قاموا فوجدوا قومهم عبدوا غير الله فراجعوا أنفسهم فإذا بنور الهداية يشع في قلوبهم فيؤمنوا بالله ويثبتوا على ذلك بل يفارقوا قومهم فرارا منهم أن يردوهم عن دينهم .. فيأووا إلى كهف يحتموا فيه من بطش ملكهم الظالم . وقد أخلد الله ذكرهم وبين أمرهم في قرآن يتلى إلى قيام الساعة ..

قال تعالى : ﴿ أَمْ حَسبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْف وَالرَّقيم كَانُوا منْ آيَاتنَا عَجَباً ۞ إذْ أَوَى الْفتْيَةُ إلَى الْكَهْف فَقَالُوا رَبَّنَا آتنَا منْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا منْ أَمْرنَا رَشَداً ۞ فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانهمْ في الْكَهْف سنينَ عَدَداً ۞ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لنَعْلَمَ أَيُّ الْحزْبَيْن أَحْصَى لمَا لَبثُوا أَمَداً ۞ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بالْحَقِّ إنَّهُمْ فتْيَةٌ آمَنُوا بربِّهمْ وَزدْنَاهُمْ هُدًى ۞ وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبهمْ إذْ قَامُوا

فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهاً لَقَدْ قُلْنَا إِذاً شَطَطاً ۞ هَؤُلاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً ۞ وَإِذْ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرفَقاً ﴾ [الكهف ٩ - ١٦]

أسيا زوجة فرعون

ملكة مصر زوجة العاتي فرعون كم كان تحت يدها من جَوارٍ ووصيفات .. وملك وعرش وسلطان .. لما أمنت بالله ﷻ هان كل شيء عندها في سبيل رضى الله ، أذاقها فرعون صور العذاب كي ترجع ولكن هان العذاب في الله فلجأت إلى الله سبحانه وتعالى واختارت الجار قبل الدار .

قال تعالى : ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنْ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾

[التحريم : ١١]

ماشطة بنت فرعون

كانت تمشط بنت فرعون فهبت نسمات الإيمان على قلبها فعلق به نسيمه فآمنت بالله وتحملت أشد أنواع العذاب بدأ بحرق أبنائها أمامها إلى أن تبعتهم بنفس العذاب ..

عَن ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « **لَمَّا كَانَتْ اللَّيْلَةُ الَّتِي أُسْرِيَ بِي فِيهَا أَتَتْ عَلَيَّ رَائِحَةٌ طَيِّبَةٌ فَقُلْتُ يَا جِبْرِيلُ مَا هَذِهِ الرَّائِحَةُ الطَّيِّبَةُ ؟ فَقَالَ : هَذِهِ رَائِحَةُ مَاشِطَةِ ابْنَةِ فِرْعَوْنَ وَأَوْلاَدِهَا قَالَ : قُلْتُ وَمَا شَأْنُهَا ؟ قَالَ : بَيْنَا هِيَ تُمَشِّطُ ابْنَةَ فِرْعَوْنَ ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ سَقَطَتْ الْمِدْرَى مِنْ يَدَيْهَا فَقَالَتْ : بِسْمِ اللَّهِ فَقَالَتْ لَهَا ابْنَةُ فِرْعَوْنَ : أَبِي ؟ قَالَتْ : لاَ وَلَكِنْ رَبِّي وَرَبُّ أَبِيكِ اللَّهُ قَالَتْ : أُخْبِرُهُ بِذَلِكَ قَالَتْ : نَعَمْ فَأَخْبَرَتْهُ فَدَعَاهَا فَقَالَ : يَا فُلاَنَةُ وَإِنَّ لَكِ رَبًّا غَيْرِي ؟ قَالَتْ : نَعَمْ رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ ، فَأَمَرَ بِبَقَرَةٍ مِنْ نُحَاسٍ فَأُحْمِيَتْ ، ثُمَّ أَمَرَ بِهَا أَنْ تُلْقَى هِيَ وَأَوْلاَدُهَا فِيهَا قَالَتْ : لَهُ إِنَّ لِي إِلَيْكَ**

حَاجَةً قَالَ : وَمَا حَاجَتُك ؟ قَالَتْ : أُحبُّ أَنْ تَجْمَعَ عظَامي وَعظَامَ وَلَدي في ثَوْب وَاحد وَتَدْفنَنَا . قَالَ : ذَلكَ لَك عَلَيْنَا منْ الْحَقِّ قَالَ : فَأَمَرَ بِأَوْلادهَا فَأُلْقُوا بَيْنَ يَدَيْهَا وَاحدًا وَاحدًا إِلَى أَنْ انْتَهَى ذَلكَ إِلَى صَبِيٍّ لَهَا مُرْضَع وَكَأَنَّهَا تَقَاعَسَتْ منْ أَجْله قَالَ : يَا أُمَّهْ اقْتَحمي ، فَإِنَّ عَذَابَ الدُّنْيَا أَهْوَنُ مِنْ عَذَاب الآخرَة فَاقْتَحَمَتْ »
قَالَ : ابْنُ عَبَّاسٍ : تَكَلَّمَ أَرْبَعَةٌ صغَارٌ عيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْه السَّلَامُ وَصَاحِبُ جُرَيْجٍ وَشَاهِدُ يُوسُفَ وَابْنُ مَاشطَة ابْنَة فرْعَوْنَ[1].

والعبرة في الهداية بالخواتيم فإذا وقع الخلل بين القلب والجوارح بحيث لم يثبت القلب فانحرف عن سيره بعجب أو رياء أو نفاق أو شرك انحرف إلى صراط أصحاب الجحيم ..

فلو استمرت الجوارح على طاعة لا ينفعها ذلك ولذلك كان أخوف ما يخاف عليه السلف الخواتيم ولا

---

(١)حسن : رواه رواه أحمد (٢٨١٧) .

يطلع على ما في القلوب إلا الله فينبغي للعبد أن يندفع في سيره بثبات القلب أولاً ومعه ثبات الجوارح .

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : ((إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ : فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا ؟ قَالَ : قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ قَالَ : كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لأَنْ يُقَالَ جَرِيءٌ فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ : فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا ؟ قَالَ : تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ ، وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ قَالَ : كَذَبْتَ ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ عَالِمٌ وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ هُوَ قَارِئٌ فَقَدْ قِيلَ ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ : فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا ؟ قَالَ : مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلاَّ أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ

قَالَ : كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ هُوَ جَوَادٌ فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ ››[1].

وَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ الْتَقَى هُوَ وَالْمُشْرِكُونَ فَاقْتَتَلُوا فَلَمَّا مَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى عَسْكَرِهِ وَمَالَ الآخَرُونَ إِلَى عَسْكَرِهِمْ وَفِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَجُلٌ لاَ يَدَعُ لَهُمْ شَاذَّةً وَلاَ فَاذَّةً إِلاَّ اتَّبَعَهَا يَضْرِبُهَا بِسَيْفِهِ فَقَالَ : مَا أَجْزَأَ مِنَّا الْيَوْمَ أَحَدٌ كَمَا أَجْزَأَ فُلاَنٌ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : ‹‹ **أَمَا إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ** ›› فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ الْقَوْمِ : أَنَا صَاحِبُهُ قَالَ فَخَرَجَ مَعَهُ كُلَّمَا وَقَفَ وَقَفَ مَعَهُ وَإِذَا أَسْرَعَ أَسْرَعَ مَعَهُ قَالَ فَجُرِحَ الرَّجُلُ جُرْحًا شَدِيدًا فَاسْتَعْجَلَ الْمَوْتَ فَوَضَعَ نَصْلَ سَيْفِهِ بِالأَرْضِ وَذُبَابَهُ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ ثُمَّ تَحَامَلَ عَلَى سَيْفِهِ فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَخَرَجَ الرَّجُلُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ قَالَ : ‹‹ **وَمَا ذَاكَ** ›› قَالَ : الرَّجُلُ الَّذِي ذَكَرْتَ آنِفًا أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَأَعْظَمَ النَّاسُ ذَلِكَ فَقُلْتُ أَنَا

(١) رواه **مسلم** (١٩٠٥) .

لَكُمْ به فَخَرَجْتُ في طَلَبه ثُمَّ جُرِحَ جُرْحًا شَديدًا فَاسْتَعْجَلَ الْمَوْتَ فَوَضَعَ نَصْلَ سَيْفه في الأَرْضِ وَذُبَابَهُ بَيْنَ ثَدْيَيْه ثُمَّ تَحَامَلَ عَلَيْه فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ عنْدَ ذَلكَ : ((**إنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ الْجَنَّة فيمَا يَبْدُو للنَّاس وَهُوَ منْ أَهْلِ النَّار وَإنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ النَّار فيمَا يَبْدُو للنَّاسِ وَهُوَ منْ أَهْلِ الْجَنَّة**))[1].

طليحة الأسدى

قال الذهبي في السير : هو طليحة بن خويلد بن نوفل الأسدي البطل الكرار صاحب رسول الله ﷺ ومن يضرب بشجاعتة المثل أسلم سنة تسع ثم ارتد وظلم نفسه وتنبأ بنجد وتمت له حروب مع المسلمين ثم انهزم وخذل ولحق بآل جفنة الغسانيين بالشام ثم ارعوى وأسلم وحسن إسلامه لما توفي الصديق وأحرم بالحج فلما رآه عمر قال يا طليحة لا أحبك بعد قتلك عكاشة بن محصن وثابت بن أقرم وكانا طليعة لخالد يوم بزاخة فقتلهما

---

(١) رواه البخاري (٢٨٩٨) ، مسلم (١١٢) .

طليحة وأخوه ثم شهد القادسية ونهاوند وكتب عمر إلى سعد بن أبي وقاص أن شاور طليحة في أمر الحرب ولا توله شيئا قال محمد بن سعد كان طليحة يعد بألف فارس لشجاعته وشدته .

قلت أبلى يوم نهاوند ثم استشهد ﷺ وسامحه[1].

ملك غسان (جبلة بن الأيهم)

جبلة بن الأيهم الذي وفد عابراً نهر دمشق مسلما على عمر ﷺ في خلافته بخمس مائة فارس عليهم الديباج والذهب وعلى رأسه التاج وقرطا مارية المشهوران ثم وطئ الفزاري إزاره في الطواف فلطمه فقال له عمر ﷺ : إما أن ترضه أو تقيده فلم يرض الفزاري إلا أن يقيده بلطمة مثلها فقال : أتقيد مني وأنا ملك ، فقال عمر ﷺ : أنتما في حكم الإسلام سواء ، فقال : أمهلني ثلاثة أيام ، فأمهله فخرج ليلا إلى قيصر فملكه في بلاده وتنصر ثم إن عمر ﷺ أرسل صحابيا إلى قيصر فاجتمع بجبلة فرأى عنده

---

(١) سير أعلام النبلاء (٣١٧/١) .

من الخدم والحشم والجواهر وأواني الذهب والفضة ما أذهله فسأل عن عمر وعن تلك الديار ثم تأوه وأنشد ..

تنصرت الأشراف من أجل لطمة
وما كان فيها لو صبرت لها ضرر
تكنفني فيها لجاج حمية
فبعت لها العين الصحيحة بالعور
فيا ليت أمي لم تلدني وليتني
رجعت إلى القول الذي قاله عمر
ويا ليتني أرعى المخاض بقفرة
وكنت أسيرا في ربيعة أو مضر
ويا ليت لي بالشام أدنى معيشة
أجاور قومي ذاهب السمع والبصر
أدين بما دانوا به من شريعة
وقد يصبر العود المسن على الدبر[1]

---

(١) (ابن سعد في الطبقات ٢٦٦/١ - معجم البلدان ٣١٤/٣) على إختلاف في بعض الألفاظ .

فمن انصرف عن الخير صرف الله قلبه وحال بينه وبين الثبات على الهداية ، ومن ثابر واجتهد في فعل الخيرات هداه الله سواء السبيل .

قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت : ٦٩]

قال تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ۞ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ۞ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ۞ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ۞ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ۞ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى ﴾

[الليل : ٥ - ١٠]

قال تعالى : ﴿ وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ ﴾ [التوبة : ١٢٧]

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾

[الصف : ٥]

فقد حـــذر سبحانه من الانصـــراف عن الطاعة والاستغراق في الشهوات أن يحـــول الله بينه وبين قلبه فلا يجـــد بعد ذلـــك للهداية سبيلا والله تعالى يقـــول : ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ [الأنفال : ٢٤]

قال تعالى : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنْ الصَّالِحِينَ ۞ فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ۞ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقاً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ۞ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ ﴾ [التوبة : ٧٥ - ٧٨]

قال تعالى : ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظّاً مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾

[المائدة : ١٣]

قال تعالى : ﴿ كَـذَلكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرينَ ﴾ [الأعراف : ١٠١]

قَال تعالى : ﴿ وَالَّذينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَاب بقيعَة يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَاب ﴾ [سورة النور : ٣٩]

قال تعالى : ﴿ وَمَنْ يُرِدْ اللَّهُ فتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلكَ لَهُ منْ اللَّه شَيْئاً أُوْلَئكَ الَّذينَ لَمْ يُرِدْ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَة عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [المائدة : ٤١]

قال تعالى : ﴿ كَذَلكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ ﴾ [الروم : ٥٩]

فاللجؤ الدائم إلى الله ﷻ ودوام الاستعانة به .

من أعظم وسائل الثبات

وكان النبي ﷺ دائم الاستعانة دائم اللجؤ .

عَنْ أَنَسٍ قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ :

((**يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ**)) فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّه آمَنَّا بِكَ وَبِمَا جِئْتَ بِه فَهَلْ تَخَافُ عَلَيْنَا قَالَ : ((**نَعَمْ إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّه يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ**))[1].

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّه ﷺ يَسْكُتُ بَيْنَ التَّكْبِيرِ وَبَيْنَ الْقِرَاءَة إِسْكَاتَةً قَالَ : أَحْسَبُهُ قَالَ هُنَيَّةً فَقُلْتُ : بِأَبِي وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّه إِسْكَاتُكَ بَيْنَ التَّكْبِيرِ وَالْقِرَاءَة مَا تَقُولُ ؟ قَالَ : ((**أَقُولُ اللَّهُمَّ بَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ خَطَايَايَ كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ اللَّهُمَّ نَقِّنِي مِنْ الْخَطَايَا كَمَا يُنَقَّى الثَّوْبُ الأَبْيَضُ مِنْ الدَّنَسِ اللَّهُمَّ اغْسِلْ خَطَايَايَ بِالْمَاءِ وَالثَّلْجِ وَالْبَرَدِ**))[2].

عَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : ((**إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأْ وُضُوءَكَ لِلصَّلاَة ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الأَيْمَنِ ثُمَّ قُلْ : اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ**

---

(١) **حسن** : رواه الترمذي (٢١٤٠) .

(٢) رواه البخاري (٧٤٤) ، **مسلم** (٥٩٨) .

وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ لاَ مَلْجَأَ وَلاَ مَنْجَا مِنْكَ إِلاَّ إِلَيْكَ اللَّهُمَّ آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ فَإِنْ مُتَّ مِنْ لَيْلَتِكَ فَأَنْتَ عَلَى الْفِطْرَةِ وَاجْعَلْهُنَّ آخِرَ مَا تَتَكَلَّمُ بِهِ » قَالَ : فَرَدَّدْتُهَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَلَمَّا بَلَغْتُ اللَّهُمَّ آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ قُلْتُ : وَرَسُولِكَ . قَالَ : « لاَ وَنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ »[1].

وعن شَدَّادُ بْنُ أَوْس ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ سَيِّدُ الاسْتِغْفَارِ أَنْ تَقُولَ : « اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ أَنْتَ »[2].

---

(١) رواه البخاري (٢٤٧) ، مسلم (٢٧١٠) .

(٢) رواه البخاري (٦٣٠٦) .

الثبات في حياة نبينا ﷺ .

وصور الثبات في حياة نبينا ﷺ لا تعد ولا تحصى استمع إلى قول عائشة رضي الله عنها .

فعَنْ عَبْد اللَّه بْنِ شَقيق قَالَ : قُلْتُ لعَائشَةَ : هَلْ كَانَ النَّبيُّ ﷺ يُصَلِّي وَهُوَ قَاعدٌ ؟ قَالَتْ : نَعَمْ بَعْدَ مَا حَطَمَهُ النَّاسُ[1].

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالك قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّه ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ ، وَكَانَ أَجْوَدَ النَّاسِ وَكَانَ أَشْجَعَ النَّاسِ وَلَقَدْ فَزِعَ أَهْلُ الْمَدينَة ذَاتَ لَيْلَة ، فَانْطَلَقَ نَاسٌ قبَلَ الصَّوْت فَتَلَقَّاهُمْ رَسُولُ اللَّه ﷺ رَاجعًا وَقَدْ سَبَقَهُمْ إِلَى الصَّوْتِ ، وَهُوَ عَلَى فَرَسٍ لأَبي طَلْحَةَ عُرْيٍ في عُنُقه السَّيْفُ ، وَهُوَ يَقُولُ : ((**لَمْ تُرَاعُوا لَمْ تُرَاعُوا**)) قَالَ : وَجَدْنَاهُ بَحْرًا أَوْ إِنَّهُ لَبَحْرٌ قَالَ وَكَانَ فَرَسًا يُبَطَّأُ[2].

---

(١) مسلم (٧٣٢) .

(٢) رواه مسلم (٢٣٠٧) .

عَنْ أَبِي عُرْوَةَ عَنْ عَبْد اللَّه بْنِ عَمْرو بْنِ الْعَاصِ قَالَ : قُلْتُ لَهُ مَا أَكْثَرَ مَا رَأَيْتَ قُرَيْشًا أَصَابَتْ مِنْ رَسُول اللَّه فيمَا كَانَتْ تُظْهِرُ منْ عَدَاوَته قَالَ حَضَرْتُهُمْ وَقَدْ اجْتَمَعَ أَشْرَافُهُمْ يَوْمًا في الْحجْرِ فَذَكَرُوا رَسُولَ الله ﷺ فَقَالُوا : مَا رَأَيْنَا مثْلَ مَا صَبَرْنَا عَلَيْه منْ هَذَا الرَّجُلِ قَطُّ سَفَّهَ أَحْلاَمَنَا ، وَشَتَمَ آبَاءَنَا ، وَعَابَ دينَنَا ، وَفَرَّقَ جَمَاعَتَنَا ، وَسَبَّ آلهَتَنَا لَقَدْ صَبَرْنَا منْهُ عَلَى أَمْرٍ عَظِيمٍ أَوْ كَمَا قَالُوا : قَالَ : فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلكَ إِذْ طَلَعَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّه ﷺ فَأَقْبَلَ يَمْشي حَتَّى اسْتَلَمَ الرُّكْنَ ثُمَّ مَرَّ بِهِمْ طَائفًا بِالْبَيْت ، فَلَمَّا أَنْ مَرَّ بهمْ غَمَزُوهُ ببَعْضِ مَا يَقُولُ قَالَ : فَعَرَفْتُ ذَلكَ في وَجْهه ثُمَّ مَضَى ، فَلَمَّا مَرَّ بهمْ الثَّانيَةَ غَمَزُوهُ بمثْلهَا فَعَرَفْتُ ذَلكَ في وَجْهه ثُمَّ مَضَى ثُمَّ مَرَّ بهمْ الثَّالثَةَ فَغَمَزُوهُ بمثْلهَا فَقَالَ : « **تَسْمَعُونَ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ أَمَا وَالَّذي نَفْسُ مُحَمَّد بيَده لَقَدْ جئْتُكُمْ بالذَّبْح** » فَأَخَذَتْ الْقَوْمَ كَلمَتُهُ حَتَّى مَا منْهُمْ رَجُلٌ إِلاَّ كَأَنَّمَا عَلَى رَأْسه طَائرٌ وَاقعٌ حَتَّى إِنَّ أَشَدَّهُمْ فيه وَصَاةً قَبْلَ ذَلكَ لَيَرْفَؤُهُ بأَحْسَنِ مَا يَجدُ منْ الْقَوْلِ حَتَّى إِنَّهُ

لَيَقُولُ انْصَرِفْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ انْصَرِفْ رَاشِدًا فَوَاللَّهِ مَا كُنْتَ جَهُولاً قَالَ : فَانْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى إِذَا كَانَ الْغَدُ اجْتَمَعُوا فِي الْحِجْرِ وَأَنَا مَعَهُمْ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : ذَكَرْتُمْ مَا بَلَغَ مِنْكُمْ وَمَا بَلَغَكُمْ عَنْهُ حَتَّى إِذَا بَادَأَكُمْ بِمَا تَكْرَهُونَ تَرَكْتُمُوهُ فَبَيْنَمَا هُمْ فِي ذَلِكَ إِذْ طَلَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَوَثَبُوا إِلَيْهِ وَثْبَةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ فَأَحَاطُوا بِهِ يَقُولُونَ لَهُ أَنْتَ الَّذِي تَقُولُ كَذَا وَكَذَا لِمَا كَانَ يَبْلُغُهُمْ عَنْهُ مِنْ عَيْبِ آلِهَتِهِمْ وَدِينِهِمْ قَالَ فَيَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « **نَعَمْ أَنَا الَّذِي أَقُولُ ذَلِكَ** » قَالَ : فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلاً مِنْهُمْ أَخَذَ بِمَجْمَعِ رِدَائِهِ قَالَ وَقَامَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ ﷺ دُونَهُ يَقُولُ وَهُوَ يَبْكِي : أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ ، ثُمَّ انْصَرَفُوا عَنْهُ ، فَإِنَّ ذَلِكَ لأَشَدُّ مَا رَأَيْتُ قُرَيْشًا بَلَغَتْ مِنْهُ قَطُّ[1].

---

(١) **حسن** : رواه أحمد (٦٩٩٦) .

صور من ثبات الصحابة ومن بعدهم

أنس بن النضر

عَنْ أَنَس ﷺ قَالَ غَابَ عَمِّي أَنَسُ بْنُ النَّضْر عَنْ قتَال بَدْر فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّه غبْتُ عَنْ أَوَّل قتَال قَاتَلْتَ الْمُشْركينَ لَئنْ اللَّهُ أَشْهَدَني قتَالَ الْمُشْركينَ لَيَرَيَنَّ اللَّهُ مَا أَصْنَعُ فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُد وَانْكَشَفَ الْمُسْلمُونَ قَالَ : اللَّهُمَّ إنِّي أَعْتَذرُ إلَيْكَ ممَّا صَنَعَ هَؤُلَاء يَعْني أَصْحَابَهُ وَأَبْرَأُ إلَيْكَ ممَّا صَنَعَ هَؤُلَاء يَعْني الْمُشْركينَ ثُمَّ تَقَدَّمَ فَاسْتَقْبَلَهُ سَعْدُ بْنُ مُعَاذ فَقَالَ يَا سَعْدُ بْنَ مُعَاذ الْجَنَّةَ وَرَبِّ النَّضْر إنِّي أَجدُ ريحَهَا منْ دُون أُحُد قَالَ سَعْدٌ فَمَا اسْتَطَعْتُ يَا رَسُولَ اللَّه مَا صَنَعَ قَالَ أَنَسٌ : فَوَجَدْنَا به بضْعًا وَثَمَانينَ ضَرْبَةً بالسَّيْف أَوْ طَعْنَةً برُمْح أَوْ رَمْيَةً بسَهْم وَوَجَدْنَاهُ قَدْ قُتلَ وَقَدْ مَثَّلَ به الْمُشْركُونَ فَمَا عَرَفَهُ أَحَدٌ إلاَّ أُخْتُهُ ببَنَانه قَالَ أَنَسٌ كُنَّا نُرَى أَوْ نَظُنُّ أَنَّ هَذه الآيَةَ نَزَلَتْ فيه وَفي أَشْبَاهه منْ الْمُؤْمنينَ ﴿ **رجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْه** ﴾ إلَى آخر الآيَة وَقَالَ : إنَّ أُخْتَهُ وَهيَ تُسَمَّى الرُّبَيِّعَ

كَسَرَتْ ثَنِيَّةَ امْرَأَة فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّه ﷺ بِالْقِصَاص فَقَالَ أَنَسٌ : يَا رَسُولَ اللَّه وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لاَ تُكْسَرُ ثَنِيَّتُهَا فَرَضُوا بِالأَرْشِ وَتَرَكُوا الْقِصَــــاصَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ : ((**إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللَّه مَنْ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّه لأَبَرَّهُ**))[1].

عباد بن بشر

يترنم بآيات من كتاب الله وهو قائم يصلي وأيضا يحرس ثغرا للمسلمين تنهال عليه السهام فلا تحرك له ساكن ولولا خشيته أن يقطع على المسلمين ثغر ما تحرك .

عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّه قَالَ : خَرَجْنَا مَعَ رَسُول اللَّه ﷺ في غَزْوَةَ ذَات الرِّقَاعِ فَأُصِيبَتْ امْرَأَةٌ مِنْ الْمُشْرِكِينَ فَلَمَّا انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّه ﷺ قَافلاً وَجَاءَ زَوْجُهَا وَكَانَ غَائبًا فَحَلَفَ أَنْ لاَ يَنْتَهِيَ حَتَّى يُهْرِيقَ دَمًا فِي أَصْحَاب مُحَمَّد ﷺ فَخَرَجَ يَتْبَعُ أَثَرَ النَّبِيِّ ﷺ فَنَزَلَ النَّبِيُّ ﷺ مَنْزِلاً فَقَالَ : ((**مَنْ رَجُلٌ يَكْلَؤُنَا لَيْلَتَنَا هَذه**)) فَانْتَدَبَ رَجُلٌ

---

(١) رواه البخاري(٢٨٠٦) ، مسلم(١٩٠٣) .

مِنْ الْمُهَاجِرِينَ وَرَجُلٌ مِنْ الأَنْصَارِ[١] فَقَالا نَحْنُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ : ((**فَكُونُوا بِفَمِ الشِّعْبِ**)) قَالَ : وَكَانُوا نَزَلُوا إِلَى شِعْبٍ مِنْ الْوَادِي فَلَمَّا خَرَجَ الرَّجُلانِ إِلَى فَمِ الشِّعْبِ قَالَ الأَنْصَارِيُّ لِلْمُهَاجِرِيِّ : أَيُّ اللَّيْلِ أَحَبُّ إِلَيْكَ أَنْ أَكْفِيَكَهُ أَوَّلَهُ أَوْ آخِرَهُ قَالَ اكْفِنِي أَوَّلَهُ فَاضْطَجَعَ الْمُهَاجِرِيُّ فَنَامَ وَقَامَ الأَنْصَارِيُّ يُصَلِّي وَأَتَى الرَّجُلُ فَلَمَّا رَأَى شَخْصَ الرَّجُلِ عَرَفَ أَنَّهُ رَبِيئَةُ الْقَوْمِ فَرَمَاهُ بِسَهْمٍ فَوَضَعَهُ فِيهِ فَنَزَعَهُ فَوَضَعَهُ وَثَبَتَ قَائِمًا ثُمَّ رَمَاهُ بِسَهْمٍ آخَرَ فَوَضَعَهُ فِيهِ فَنَزَعَهُ فَوَضَعَهُ وَثَبَتَ قَائِمًا ثُمَّ عَادَ لَهُ بِثَالِثٍ فَوَضَعَهُ فِيهِ فَنَزَعَهُ فَوَضَعَهُ ثُمَّ رَكَعَ وَسَجَدَ ، ثُمَّ أَهَبَّ صَاحِبَهُ فَقَالَ : اجْلِسْ فَقَدْ أُوتِيتَ فَوَثَبَ فَلَمَّا رَآهُمَا الرَّجُلُ عَرَفَ أَنْ قَدْ نَذِرُوا بِهِ فَهَرَبَ فَلَمَّا رَأَى الْمُهَاجِرِيُّ مَا بِالأَنْصَارِيِّ مِنْ الدِّمَاءِ قَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ أَلا أَهْبَبْتَنِي قَالَ كُنْتُ فِي سُورَةٍ أَقْرَؤُهَا فَلَمْ أُحِبَّ أَنْ أَقْطَعَهَا حَتَّى أُنْفِذَهَا فَلَمَّا تَابَعَ الرَّمْيَ رَكَعْتُ فَأُرِيتُكَ وَايْمُ اللَّهِ لَوْلا أَنْ أُضَيِّعَ

---

(١) المهاجري : عمار ، والأنصاري : عباد بن بشر .

ثَغْرًا أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِحِفْظِهِ لَقَطَعَ نَفْسِي قَبْلَ أَنْ أَقْطَعَهَا أَوْ أُنْفِذَهَا[1].

عمير بن الحمام

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بُسَيْسَةَ عَيْنًا يَنْظُرُ مَا صَنَعَتْ عِيرُ أَبِي سُفْيَانَ فَجَاءَ وَمَا فِي الْبَيْتِ أَحَدٌ غَيْرِي وَغَيْرُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ : لاَ أَدْرِي مَا اسْتَثْنَى بَعْضَ نِسَائِهِ قَالَ فَحَدَّثَهُ الْحَدِيثَ قَالَ فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَتَكَلَّمَ فَقَالَ : « **إِنَّ لَنَا طَلِبَةً فَمَنْ كَانَ ظَهْرُهُ حَاضِرًا فَلْيَرْكَبْ مَعَنَا** » فَجَعَلَ رِجَالٌ يَسْتَأْذِنُونَهُ فِي ظُهْرَانِهِمْ فِي عُلْوِ الْمَدِينَةِ فَقَالَ : « **لاَ إِلاَّ مَنْ كَانَ ظَهْرُهُ حَاضِرًا** » فَانْطَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ حَتَّى سَبَقُوا الْمُشْرِكِينَ إِلَى بَدْرٍ وَجَاءَ الْمُشْرِكُونَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « **لاَ يُقَدِّمَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلَى شَيْءٍ حَتَّى أَكُونَ أَنَا دُونَهُ** » فَدَنَا الْمُشْرِكُونَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « **قُومُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ** » قَالَ يَقُولُ : عُمَيْرُ بْنُ

---

(١) **صحيح** : رواه أحمد (١٤٢٩٤) ، وأصله في أبي داود (١٩٨) .

الْحُمَامِ الأَنْصَارِيُّ يَا رَسُولَ اللَّهِ جَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ قَالَ : ((**نَعَمْ**)) قَالَ : بَخٍ بَخٍ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : ((**مَا يَحْمِلُكَ عَلَى قَوْلِكَ بَخٍ بَخٍ**)) قَالَ : لاَ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِلاَّ رَجَاءَةَ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا . قَالَ : ((**فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا**)) فَأَخْرَجَ تَمَرَاتٍ مِنْ قَرَنِهِ فَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنْهُنَّ ثُمَّ قَالَ : لَئِنْ أَنَا حَيِيتُ حَتَّى آكُلَ تَمَرَاتِي هَذِهِ إِنَّهَا لَحَيَاةٌ طَوِيلَةٌ قَالَ : فَرَمَى بِمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ التَّمْرِ ثُمَّ قَاتَلَهُمْ حَتَّى قُتِلَ[1] .

أبو طلحة الأنصاري

ثمرة من ثمر أم سليم رضي الله عنها تقدم لخطبتها فقالت له إن مثلك لا يرد ولكنك مشرك فإن أسلمت فذاك مهري .. فأسلم ﷺ وضرب أعظم المثل في الثبات .

عن أَنَسِ بْنَ مَالِكٍ ﷺ قَالَ : كَانَ أَبُو طَلْحَةَ أَكْثَرَ الأَنْصَارِ بِالْمَدِينَةِ مَالاً مِنْ نَخْلٍ وَكَانَ أَحَبُّ أَمْوَالِهِ إِلَيْهِ بَيْرُحَاءَ وَكَانَتْ مُسْتَقْبِلَةَ الْمَسْجِدِ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

---

(١) رواه **مسلم** (١٩٠١).

يَدْخُلُهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَاء فِيهَا طَيِّب قَالَ أَنَسٌ : فَلَمَّا أُنْزِلَتْ هَذه الآيَةُ ﴿ **لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ** ﴾ قَامَ أَبُو طَلْحَةَ إِلَى رَسُول اللَّه ﷺ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّه إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ : ﴿ **لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ** ﴾ وَإِنَّ أَحَبَّ أَمْوَالِي إِلَيَّ بَيْرُحَاءَ وَإِنَّهَا صَدَقَةٌ لِلَّه أَرْجُو بِرَّهَا وَذُخْرَهَا عِنْدَ اللَّه فَضَعْهَا يَا رَسُولَ اللَّه حَيْثُ أَرَاكَ اللَّهُ قَالَ : فَقَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ : « **بَخ ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ وَقَدْ سَمِعْتُ مَا قُلْتَ وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا فِي الأَقْرَبِينَ** » ، فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ أَفْعَلُ يَا رَسُولَ اللَّه فَقَسَمَهَا أَبُو طَلْحَةَ فِي أَقَارِبِه وَبَنِي عَمِّه[1].

ثم انظر إلى ثباته على نفس الأمر حتى عند الشيخوخة فعن أنس رضي الله عنه أن أبا طلحة رضي الله عنه قرأ هذه الآية ﴿ **انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً** ﴾ قال أرى ربنا يستنفرنا شيوخا وشبابا جهزوني أي : بني جهزوني ، فقال بنوه قد شهدت مع رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما فنحن

---

(١) رواه **البخاري** (١٤٦١) ، **مسلم** (٩٩٨).

نغزوا عنك .. فقال جهزوني فركب البحر فمات فلم يجدوا له جزيرة إلا بعد سبعة أيام فقبر بها و لم يتغير[١].

حرام بن ملحان

يطعن من الخلف غدرا فيتدفق الدم بين يديه فيهلل ويكبر وينادي بأعلى صوته فزت ورب الكعبة .

عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ : بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ أَقْوَامًا مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ إِلَى بَنِي عَامِرٍ فِي سَبْعِينَ فَلَمَّا قَدِمُوا قَالَ لَهُمْ خَالِي أَتَقَدَّمُكُمْ فَإِنْ أَمَّنُونِي حَتَّى أُبَلِّغَهُمْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَإِلاَّ كُنْتُمْ مِنِّي قَرِيبًا فَتَقَدَّمَ فَأَمَّنُوهُ فَبَيْنَمَا يُحَدِّثُهُمْ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ أَوْمَئُوا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ فَطَعَنَهُ فَأَنْفَذَهُ فَقَالَ اللَّهُ أَكْبَرُ فُزْتُ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ ، ثُمَّ مَالُوا عَلَى بَقِيَّة أَصْحَابه فَقَتَلُوهُمْ إِلاَّ رَجُلاً أَعْرَجَ صَعِدَ الْجَبَلَ قَالَ هَمَّامٌ فَأُرَاهُ آخَرَ مَعَهُ ، فَأَخْبَرَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَام النَّبِيَّ ﷺ أَنَّهُمْ قَدْ لَقُوا رَبَّهُمْ فَرَضِيَ عَنْهُمْ وَأَرْضَاهُمْ فَكُنَّا نَقْرَأُ أَنْ بَلِّغُوا قَوْمَنَا أَنْ قَدْ

---

(١) رواه الحاكم في مستدركه (٢/١١٤ ، ٣/٣٩٨) البيهقي في سننه الكبرى (٩/٢١) .

لَقينَا رَبَّنَا فَرَضِيَ عَنَّا وَأَرْضَانَا ثُمَّ نُسِخَ بَعْدُ فَدَعَا عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا عَلَى رِعْلٍ وَذَكْوَانَ وَبَنِي لَحْيَانَ وَبَنِي عُصَيَّةَ الَّذِينَ عَصَوْا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﷺ (١).

خبيب بن عدي

الذي سن للمسلمين ركعتين قبل القتل وقد أجرى الله على يديه من الآيات قبل قتله ﷺ ..

عَنَّ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ بَعَثَ رَسُولُ اللَّه ﷺ عَشَرَةَ رَهْط سَرِيَّةً عَيْنًا وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ عَاصِمَ بْنَ ثَابت الأَنْصَارِيَّ جَدَّ عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّاب فَانْطَلَقُوا حَتَّى إِذَا كَانُوا بِالْهَدَأَة وَهُوَ بَيْنَ عُسْفَانَ وَمَكَّةَ ذُكِرُوا لِحَيٍّ مِنْ هُذَيْلٍ يُقَالُ لَهُمْ بَنُو لَحْيَانَ فَنَفَرُوا لَهُمْ قَرِيبًا مِنْ مِائَتَيْ رَجُلٍ كُلُّهُمْ رَامٍ فَاقْتَصُّوا آثَارَهُمْ حَتَّى وَجَدُوا مَأْكَلَهُمْ تَمْرًا تَزَوَّدُوهُ مِنْ الْمَدِينَة فَقَالُوا هَذَا تَمْرُ يَثْرِبَ فَاقْتَصُّوا آثَارَهُمْ فَلَمَّا رَآهُمْ عَاصِمٌ وَأَصْحَابُهُ لَجَئُوا إِلَى فَدْفَد وَأَحَاطَ بِهِمْ الْقَوْمُ فَقَالُوا لَهُمْ انْزِلُوا وَأَعْطُونَا بِأَيْدِيكُمْ وَلَكُمْ الْعَهْدُ

---

(١) رواه البخاري (٢٨٠١) ، مسلم (٦٧٧) .

وَالْمِيثَاقُ وَلاَ نَقْتُلُ مِنْكُمْ أَحَدًا .

قَالَ عَاصِمُ ابْنُ ثَابِت أَمِيرُ السَّرِيَّة أَمَّا أَنَا فَوَاللَّه لاَ أَنْزِلُ الْيَوْمَ فِي ذِمَّة كَافِرٍ اللَّهُمَّ أَخْبِرْ عَنَّا نَبِيَّكَ فَرَمَوْهُمْ بِالنَّبْلِ فَقَتَلُوا عَاصِمًا فِي سَبْعَة فَنَزَلَ إِلَيْهِمْ ثَلاَثَةُ رَهْط بِالْعَهْد وَالْمِيثَاق مِنْهُمْ خُبَيْبٌ الأَنْصَارِيُّ وَابْنُ دَثِنَةَ وَرَجُلٌ آخَرُ فَلَمَّا اسْتَمْكَنُوا مِنْهُمْ أَطْلَقُوا أَوْتَارَ قِسِيِّهِمْ فَأَوْثَقُوهُمْ فَقَالَ الرَّجُلُ الثَّالِثُ هَذَا أَوَّلُ الْغَدْرِ وَاللَّهَ لاَ أَصْحَبُكُمْ إِنَّ لِي فِي هَؤُلاَءِ لأُسْوَةً يُرِيدُ الْقَتْلَى فَجَرَّرُوهُ وَعَالَجُوهُ عَلَى أَنْ يَصْحَبَهُمْ فَأَبَى فَقَتَلُوهُ ، فَانْطَلَقُوا بِخُبَيْب وَابْن دَثِنَةَ حَتَّى بَاعُوهُمَا بِمَكَّةَ بَعْدَ وَقْعَة بَدْر فَابْتَاعَ خُبَيْبًا بَنُو الْحَارِث بْنِ عَامِرِ بْنِ نَوْفَلِ بْنِ عَبْد مَنَاف وَكَانَ خُبَيْبٌ هُوَ قَتَلَ الْحَارِثَ بْنَ عَامِرٍ يَوْمَ بَدْرٍ فَلَبِثَ خُبَيْبٌ عِنْدَهُمْ أَسِيرًا فَأَخْبَرَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عِيَاضٍ أَنَّ بِنْتَ الْحَارِث أَخْبَرَتْهُ أَنَّهُمْ حِينَ اجْتَمَعُوا اسْتَعَارَ مِنْهَا مُوسَى يَسْتَحِدُّ بِهَا فَأَعَارَتْهُ فَأَخَذَ ابْنًا لِي وَأَنَا غَافِلَةٌ حِينَ أَتَاهُ قَالَتْ فَوَجَدْتُهُ مُجْلِسَهُ عَلَى فَخِذِهِ وَالْمُوسَى بِيَدِهِ فَفَزِعْتُ فَزْعَةً عَرَفَهَا

خُبَيْبٌ فِي وَجْهِي فَقَالَ : تَخْشَيْنَ أَنْ أَقْتُلَهُ مَا كُنْتُ لأَفْعَلَ ذَلِكَ وَاللَّه مَا رَأَيْتُ أَسِيرًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ خُبَيْب وَاللَّه لَقَدْ وَجَدْتُهُ يَوْمًا يَأْكُلُ مِنْ قَطْف عنَب فِي يَده وَإِنَّهُ لَمُوثَقٌ فِي الْحَديد وَمَا بِمَكَّةَ مِنْ ثَمَر وَكَانَتْ تَقُولُ إِنَّهُ لَرِزْقٌ مِنْ اللَّه رَزَقَهُ خُبَيْبًا فَلَمَّا خَرَجُوا مِنْ الْحَرَم لِيَقْتُلُوهُ فِي الْحِلِّ قَالَ لَهُمْ خُبَيْبٌ ذَرُونِي أَرْكَعْ رَكْعَتَيْن فَتَرَكُوهُ فَرَكَعَ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ قَالَ : لَوْلاَ أَنْ تَظُنُّوا أَنَّ مَا بِي جَزَعٌ لَطَوَّلْتُهَا اللَّهُمَّ أَحْصِهِمْ عَدَدًا .

مَـــا أُبَالِي حــِينَ أُقْتَلُ مُسْلماً
عَلَى أَيِّ شقٍّ كَانَ لِلَّه مَصْرَعِي
وَذَلِكَ فِي ذَات الإِلَه وَإِنْ يَشَأْ
يُبَارِكْ عَلَى أَوْصَال شلْو مُمَزَّعِ

فَقَتَلَهُ ابْنُ الْحَارِث فَكَانَ خُبَيْبٌ هُوَ سَنَّ الرَّكْعَتَيْنِ لِكُلِّ امْرِئ مُسْلِم قُتِلَ صَبْرًا فَاسْتَجَابَ اللَّهُ لِعَاصِم بْن ثَابت يَوْمَ أُصِيبَ فَأَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَصْحَابَهُ خَبَرَهُمْ وَمَا أُصِيبُوا وَبَعَثَ نَاسٌ مِنْ كُفَّارِ قُرَيْشٍ إِلَى عَاصِمٍ حِينَ

حُدِّثُوا أَنَّهُ قُتِلَ لِيُؤْتَوْا بِشَيْءٍ مِنْهُ يُعْرَفُ وَكَانَ قَدْ قَتَلَ رَجُلاً مِنْ عُظَمَائِهِمْ يَوْمَ بَدْرٍ فَبُعِثَ عَلَى عَاصِمٍ مِثْلُ الظُّلَّةِ مِنْ الدَّبْرِ فَحَمَتْهُ مِنْ رَسُولِهِمْ فَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَى أَنْ يَقْطَعَ مِنْ لَحْمِهِ شَيْئًا[1] زيد بن الخطاب وسالم مولى أبي حذيفة .

كان زيد بن الخطاب يحمل راية المسلمين يوم اليمامة وقد انكشف المسلمون حتى ظهرت خيفة على الرجال فجعل زيد بن الخطاب يقول أما الرحال فلا رحال وأما الرجال فلا رجال ثم جعل يصيح بأعلى صوته اللهم إني اعتذر إليك من فرار أصحابي وأبرأ إليك مما جاء به مسيلمة ومحكم بن الطفيل وجعل يشد بالراية يتقدم بها في نحر العدو ثم ضارب بسيفه حتى قتل رحمة الله عليه ووقعت الراية فأخذها سالم مولى أبي حذيفة فقال المسلمون يا سالم إنا نخاف أن نؤتى من قبلك فقال بئس حامل القرآن أنا إن أتيتم من قبلي[2].

---

(١) رواه البخاري (٣٠٤٥) .

(٢) رواه . الحاكم (المستدرك : ٣/٢٥٢) ، وصححه ، ووافقه الذهبي .

أبو دجانة .. سماك بن خرشة

الفارس الكرار حامل سيف رسول الله بحقه ...

عن الزبير بن العوام ﷺ قال : عرض رسول الله ﷺ سيفا يوم أحد فقال من يأخذ هذا السيف بحقه فقمت فقلت أنا يا رسول الله فأعرض عني ثم قال من يأخذ هذا السيف بحقه فقلت أنا يا رسول الله فأعرض عني ثم قال من يأخذ هذا السيف بحقه فقام أبو دجانة سماك ابن خرشة فقال أنا آخذه يا رسول الله بحقه فما حقه . قال : أن لا تقتل به مسلما ولا تفر به عن كافر . قال فدفعه إليه وكان إذا أراد القتال أعلم بعصابة قال قلت لأنظرن إليه اليوم كيف يصنع قال فجعل لا يرتفع له شيء إلا هتكه وأفراه حتى انتهى إلى نسوة في سفح الجبل معهن دفوف لهن فيهن امرأة وهي تقول :

نحن بنات طارق ... نمشي على النمارق

إن تقبلوا نعانق ... ونبسط النمارق

أو تدبروا نفارق ... فراق غير وامق

قال فأهوى بالسيف إلى امرأة ليضربها ثم كف عنها فلما انكشف له القتال قلت له كل عملك قد رأيت ما خلا رفعك السيف على المرأة لم تضربها قال إني والله أكرمت سيف رسول الله ﷺ أن أقتل به امرأة صحيح الإسناد و لم يخرجاه[1].

أبو عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل

تفتح الدنيا على المسلمين في زمن عمر فيخشى على أصحابه أن تلعب بهم الدنيا فيعقد لهم اختبارا ..

عن مالك الدار أن عمر بن الخطاب أخذ أربع مائة دينار فجعلها في صرة فقال للغلام : اذهب بهم إلى أبي عبيدة بن الجراح ثم تله في البيت ساعة حتى تنظر ما يصنع فذهب بها الغلام إليه فقال : يقول لك أمير المؤمنين اجعل هذه في بعض حاجتك فقال : وصله الله ورحمه ثم قال : تعالي يا جارية اذهبي بهذه السبعة إلى فلان وبهذه الخمسة

---

(١) **صحيح** : رواه الحاكم (٣٠/٢٥٦) وأصله في مسلم من طـريق أنس (٢٤٧٠) .

إلى فلان حتى أنفذها فرجع الغلام وأخبره فوجده قد أعد مثلها إلى معاذ بن جبل فقال : اذهب بهذا إلى معاذ بن جبل وتله في البيت حتى تنظر ما يصنع فذهب بها إليه فقال : يقول لك أمير المؤمنين اجعل هذا في بعض حاجتك فقال : رحمه الله ووصله تعالي يا جارية اذهبي إلى بيت فلان بكذا واذهبي إلى بيت فلان بكذا فأطلعت امرأة معاذ فقالت نحن والله مساكين فاعطنا و لم يبق في الخرقة إلا ديناران فدحا بهما إليها ورجع الغلام إلى عمر فأخبره وسر بذلك وقال إنهم إخوة بعضهم من بعض[1].

عائشة وزينب وسودة رضي الله عنهن

تأمل إلى حال بيت النبوة قبل أن تفتح الدنيا على المسلمين وبعدها .

عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائشَةَ رَضيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ : لعُرْوَةَ ابْنَ أُخْتي إنْ كُنَّا لَنَنْظُرُ إلَى الْهلاَل ثُمَّ الْهلاَل ثَلاَثَةَ

(١) **حسن** : المعجم الكبير (٢٠/٣٣) ومالك الدار هو مالك بن عياض مولى عمر .

أَهلَّة في شَهْرَيْنِ وَمَا أُوقدَتْ في أَبْيَات رَسُول اللَّه ﷺ نَارٌ فَقُلْتُ : يَا خَالَةُ مَا كَانَ يُعيشُكُمْ قَالَتْ : الأَسْوَدَان التَّمْرُ وَالْمَاءُ إلاَّ أَنَّهُ قَدْ كَانَ لرَسُول اللَّه ﷺ جيرَانٌ منْ الأَنْصَار كَانَتْ لَهُمْ مَنَائِحُ وَكَانُوا يَمْنَحُونَ رَسُولَ اللَّه ﷺ منْ أَلْبَانِهِمْ فَيَسْقِينَا .

وعن ابن سيرين أن عمر بعث إلى سودة بغرارة دراهم فقالت : ما هــذه قالوا دراهم .. قالت في الغرارة مثل التمر .. يا جارية بلغيني القنع ففرقتها[1].

وعن أم درة قالت : أُتيت عائشة بمائة ألف ففرقتها وهي يومئذ صائمة فقلت لها : أما استطعت فيما أنفقت أن تشتري بدرهم لحما تفطرين عليه فقالت : لو كنت أذكرتني لفعلت[2].

---

(١) الطبقات الكبرى (٥٦/٨ - سير ٢٦٩/٢) . **البخاري** (٢٥٦٧) **مسلم** (٢٩٧٢) .

(٢) الإصابة (٢٠/٨) .

وعن برزة بنت رافع قالت : لما خرج العطاء أرسل عمر إلى زينب بنت جحش بالذي لها فلما دخل عليها قالت : غفر الله لعمر غيري من أخواتي كان أقوى على قسم هذا مني فقالوا : هذا كله لك قالت سبحان الله واستترت منه بثوب .. ثم قالت صبوه واطرحوا عليه ثوبا ثم قالت لي أدخلي يدك فاقبضي منه قبضة فاذهبي بها إلى بني فلان وبني فلان من أهل رحمها وأيتامها فقسمته تحت الثوب فقالت لها برزة بنت رافع غفر الله لك يا أم المؤمنين والله لقد كان لنا في هذا حق فقالت فلكم ما تحت الثوب قالت فكشفنا الثوب فوجدنا خمسة وثمانين درهما ثم رفعت يديها إلى السماء فقالت : اللهم لا يدركني عطاءً لعمر بعد عامي هذا فماتت[1].

فانظر إلى حال أمهات المؤمنين رغم تغير الحال من شدة ولين إلا أنهن لم يتغيرن رضي الله عنهن .

---

(١) الطبقات الكبرى (٣/٣٠٠) .

عبد الله بن حذافة السهمي

ضرب المثل في الثبات رغم دعابته وكثرة مزاحه ﷺ .

عن أبي سَعِيد الْخُدْرِيَّ قَالَ : بَعَثَ رَسُولُ اللَّه ﷺ عَلْقَمَةَ بْنَ مُجَزِّزٍ عَلَى بَعْثٍ أَنَا فِيهِمْ حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى رَأْسِ غَزَاتِنَا أَوْ كُنَّا بِبَعْضِ الطَّرِيقِ أَذِنَ لِطَائِفَةٍ مِنْ الْجَيْشِ وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ عَبْدَ اللَّه بْنَ حُذَافَةَ بْنِ قَيْسٍ السَّهْمِيَّ وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ بَدْرٍ وَكَانَتْ فِيه دُعَابَةٌ يَعْنِي مُزَاحًا وَكُنْتُ مِمَّنْ رَجَعَ مَعَهُ فَنَزَلْنَا بِبَعْضِ الطَّرِيق قَالَ : وَأَوْقَدَ الْقَوْمُ نَارًا لِيَصْنَعُوا عَلَيْهَا صَنِيعًا لَهُمْ أَوْ يَصْطَلُونَ قَالَ فَقَالَ لَهُمْ أَلَيْسَ لِي عَلَيْكُمْ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ ؟ قَالُوا : بَلَى قَالَ : فَمَا أَنَا بِآمِرِكُمْ بِشَيْءٍ إِنْ صَنَعْتُمُوهُ قَالُوا بَلَى قَالَ أَعْزِمُ عَلَيْكُمْ بِحَقِّي وَطَاعَتِي لَمَا تَوَاثَبْتُمْ فِي هَذِهِ النَّارِ فَقَامَ نَاسٌ فَتَحَجَّزُوا حَتَّى إِذَا ظَنَّ أَنَّهُمْ وَاثِبُونَ قَالَ : احْبِسُوا أَنْفُسَكُمْ فَإِنَّمَا كُنْتُ أَضْحَكُ مَعَكُمْ فَذَكَرُوا ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ بَعْدَ أَنْ قَدِمُوا فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : ((**مَنْ أَمَرَكُمْ مِنْهُمْ**

بِمَعْصِيَةٍ فَلاَ تُطِيعُوهُ »[1].

ورغم ما كان فيه من دعابة وطرفة كان رضي الله عنه من أثبت الناس على الهدأية وإليك هذه القصة .. ذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة عبد الله بن حذافة السهمي أحد الصحابة ﷺ أنه أسرته الروم فجاءوا به إلى ملكهم فقال له : تنصر وأنا أشركك في ملكي وأزوجك ابنتي فقال له : لو أعطيتني جميع ما تملك وما تملكه العرب على أن أرجع عن دين محمدﷺ طرفة عين ما فعلت .. فقال : إذاً أقتلك فقال : أنت وذاك قال فأمر به فصلب وأمر الرماة فرموه قريبا من يديه ورجليه وهو يعرض عليه دين النصرانية فيأبى ثم أمر به فأنزل ثم أمر بقدر وفي رواية ببقرة من نحاس فأحميت وجاء بأسير من المسلمين فألقاه وهو ينظر فإذا هو عظام يلوح وعرض عليه فأبى فأمر به أن يلقى فيها فرفع في البكرة ليلقى فيها فبكى ، فطمع فيه

(١) رواه أحمد (١١٢١٢) ابن ماجة (٢٨٥٤) رواهالبخاري ومسلم بألفاظ مخالفة وهذا حسن إنشاء الله .

ودعاه فقال : إني إنما بكيت لأن نفسي إنما هي نفس واحدة تلقى في هذا القدر الساعة في الله فأحببت أن يكوّن لي بعدد كل شعرة في جسدي نفسا تعذب هذا العذاب في الله وفي بعض الروايات أنه سجنه ومنع منه الطعام والشراب أياما ثم أرسل إليه بخمر ولحم خنْزير فلم يقربه ثم استدعاه فقال ما منعك أن تأكل فقال أما إنه قد حل لي ولكن لم أكن لأشمتك بي فقال له الملك فقبل رأسي وأنا أطلقك فقال وتطلق معي جميع أسارى المسلمين ؟ قال : نعم فقبل رأسه فأطلقه وأطلق معه جميع أسارى المسلمين عنده ، فلما رجع قال عمر بن الخطاب ﷺ حق على كل مسلم أن يقبل رأس عبد الله بن حذافة وأنا أبدأ فقام فقبل رأسه رضي الله عنهما .

ذكرها ابن كثير في تفسيره عند **قوله تعالى** : ﴿ **مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنْ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ** ﴾ [النحل : ١٠٦]

رافع بن خديج

وعرض رسول الله ﷺ المقاتلة يوم أحد بالشيخين بعد المغرب فأجاز من أجاز ورد من رد وكان فيمن رد زيد بن ثابت وابن عمر وأسيد بن ظهير والبراء بن عازب وعرابة بن أوس ورد أبا سعيد الخدري وأجاز سمره بن جندب ورافع بن خديج وكان رسول الله ﷺ قد استصغر رافعا فقامْ على خفين له فيهما رقاع وتطاول على أطراف أصابعه فلما رآه رسول الله ﷺ وكانت أم سمرة بن جندب تحت مري بن سنان بن ثعلبة عم أبي سعيد الخدري فكان ربيبه ، فلما خرج رسول الله ﷺ إلى أحد وعرض أصحابه ، فرد من استصغر ، رد سمرة بن جندب وأجاز رافع بن خديج فقال سمرة بن جندب لربيبه مري ابن سنان : يا أبت أجاز رسول الله ﷺ رافع ابن خديج وردني وأنا أصرع رافع بن خديج فقال مري بن سنان يا رسول الله رددت ابني وأجزت رافع ابن خديج وابني يصرعه ؟ فقال النبي ﷺ لرافع وسمرة : ((**تصارعا**))

فصرع سمرة رافعـــا فأجازه رسول الله ﷺ وفي رواية .. ثم أنه خرج يوم أحد أي رافع بن خديج فأراد النبي ﷺ رده فاستصغره فقال له عمه : يا رسول الله ﷺ إنه رام فأخرجه .. ثم إن رافعا رُمي مع رسول الله ﷺ يوم أحد بسهم في ثندوته فأتى النبي ﷺ وسلم فقال يا رسول الله انزع السهم قال : يا رافع إن شئت نزعت السهم والقطبة جميعا وإن شئت نزعت السهم وتركت القطبة وشهدت لك يوم القيامة إنك شهيد قال فنَزع رسول الله ﷺ السهم وترك القطبة فعاش بها حتى كان في خلافة معاوية ﷺ فانتقض به الجرح فمات ﷺ[1].

عبد الله بن مخرمة

عن ابن عمر قال : أتيت على عبد الله بن مخرمة صريعا يوم اليمامة فوقفت عليه فقال : يا عبد الله بن عمر هل أفطر الصائم قلت : نعم . قال : فاجعل في هذا المجن ماء لعلى أفطر عليه قال : فأتيت الحوض وهو مملوء ماء

---

(١) الطبري « التاريخ : ٢/٦١ » .

فضربته بجحفة معي ثم اغترفت فيه فأتيت به فوجدته قد قضى نحبه ﷺ [(١)].

الأوزاعي

قال الوليد بن مزيد : ربي يتيما فقيرا في حجر أمه تعجز الملوك أن تؤدب أولادها أدبه في نفسه ما سُمعت منه كلمة إلا أثبتها أقرانه وطلابه وما روئي ضاحكا يقهقه وإذا أخذ في ذكر المعاد تقول هل في المجلس قلب لم يبك ؟.

اجتمع سفيان والأوزاعي وعباد بن كثير بمكة فقال سفيان : يا أبا عمرو حدثنا حديثك مع عبد الله بن علي يعني عم السفاح فقال لما قدم الشام وقتل بني أمية جلس يوما على سريره باديتهم أصحابه أربعة أصناف صنف بالسيوف المسللة وصنف معهم الجرزة وصنف معهم الأعمدة ، وصنف معهم الكافر كوب ثم بعث إلي فلما صرت إلى الباب أنزلوني عن دابتي وأخذ اثنان بعضدي

---

(١) ابن عبد البر « الإستيعاب : ٩٨٦/٣ » .

وأدخلوني بين الصفوف حتى أقاموني بحيث يسمع كلامي فقال لي أنت عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي قلت : نعم اصلح الله الأمير قال : ما تقول في دماء بني أمية قلت قد كان بينك وبينهم عهود وكان ينبغي أن تفوا بها قال : ويحك اجعلني وإياهم لا عهد بيننا ، فأجهشت نفسي وكرهت القتل فذكرت مقامي بين يدي الله فلفظتها فقلت دماؤهم عليك حرام فغضب وانتفخت أوداجه ، واحمرت عيناه فقال لي : ويحك و لم ؟ قلت : قال رسول الله ﷺ : « **لاَ يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إلاَّ بإحْدَى ثَلاَثْ ، ثيب زان ونفس بنفس وتارك لدينه** » قال : ويحك أو ليس الأمر لنا ديانة ؟ قلت : كيف ذاك ؟ قال : أليس كان رسول الله ﷺ أوصى لعلي ؟ قلت : لو أوصى إليه لما حكم الحكمين فسكت ! وقد اجتمع غضبا فجعلت أتوقع رأسي يسقط بين يدي فقال بيده هكذا أومى أن أخرجوه ، فخرجت فما أبعدت حتى لحقني فارس فنَزلت وقلت : قد بعث ليأخذ رأسي ..

أصلي ركعتين فكبرت فجاء وأنا أصلي فسلم وقال : إن الأمير بعث إليك هذه الدنانير قال : ففرقتها قبل أن ادخل بيتي[(١)].

إسكافٍ بالمدينة

كم من قلوب ذلت لله ﷻ أخفت أخبارها عن العباد لا يعلمها إلا من خلقها « **رُبَّ أَشْعَثَ مَدْفُوعٍ بِالأَبْوَابِ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لأَبَرَّهُ** »[(٢)].

وإليك هذه القصة

عن محمد بن المنكدر قال : كانت لي سارية في مسجد رسول الله ﷺ أجلس أصلي إليها بالليل فقحط أهل المدينة سنة فخرجوا يستسقون فلم يسقوا ، فلما كان من الليل صليت عشاء الآخرة في مسجد رسول الله ﷺ ثم جئت فتساندت إلى ساريتي فجاء رجل أسود تعلوه صفرة متزر بكساء وعلى رقبته كساء أصغر منه .. فتقدم إلى

---

(١) تذكرة الحفاظ (١٨١/١) .

(٢) مسلم (٢٦٢٢) .

السارية التي بين يدي وكنت خلفه فقام فصلى ركعتين ثم جلس فقال : أي رب خرج أهل حرم نبيك يستسقون فلم تسقهم فأنا أقسم عليك لما سقيتهم .. قال ابن المنكدر فقلت : مجنون قال فما وضع يده حتى سمعت الرعد ، ثم جاءت السماء بشيء من المطر أهمني الرجوع إلى أهلي فلما سمع المطر حمد الله بمحامد لم أسمع بمثلها قط قال : ثم قال ومن أنا ؟ وما أنا حيث استجبت لي ؟ ولكن عذت بحمدك وعذت بطولك ، ثم قام فتوشح بكسائه الذي كان متزرا به وألقى الكساء الآخر الذي كان على ظهره في رجليه ثم قام ، فلم يزل قائما يصلي حتى إذا أحسن الصبح سجد وأوتر وصلى ركعتي الصبح ، ثم أقيمت صلاة الصبح فدخل في الصلاة مع الناس ودخلت معه فلما سلم الإمام قام فخرج وخرجت خلفه حتى انتهى إلى باب المسجد فخرج يرفع ثوبه ويخوض الماء فخرجت خلفه رافعا ثوبي أخوض الماء فلم أدر أين ذهب .

فلما كانت الليلة الثانية صليت العشاء في مسجد رسول الله ﷺ ثم جئت إلى ساريتي فتوسدت إليها وجاء فقام فتوشح بكسائه وألقى الكساء الآخر الذي كان على ظهره في رجليه وقام يصلي فلم يزل قائما حتى إذا خشي الصبح سجد ثم أوتر ثم صلى ركعتي الفجر وأقيمت الصلاة فدخل مع الناس في الصلاة ودخلت معه ، فلما سلم الإمام خرج من المسجد وخرجت خلفه فجعل يمشي وأتبعه حتى دخل دارا قد عرفتها من دور المدينة ورجعت إلى المسجد ، فلما طلعت الشمس وصليت خرجت حتى أتيت الدار فإذا أنا به قاعد يخرز وإذا هو إسكاف فلما رآني عرفني وقال : أبا عبد الله مرحبا ألك حاجة تريد أن أعمل لك خفا ؟ فجلست فقلت : ألست صاحبي بارحة الأولى فاسود وجهه وصاح بي وقال ابن المنكدر ما أنت وذاك قال وغضب قال ففرقت والله منه رجاء أخرج من عنده الآن ، فلما كان في الليلة الثالثة صليت العشاء الآخرة في مسجد رسول الله ﷺ ثم أتيت

ساريتي فتساندت إليها فلم يجيء قال : قلت إنا لله ، ما صنعت ؟! فلما أصبحت جلست في المسجد حتى طلعت الشمس ثم خرجت حتى أتيت الدار التي كان فيها فإذا باب البيت مفتوح وإذا ليس في البيت شيء فقال لي أهل الدار : يا أبا عبد الله ما كان بينك وبين هذا أمس قلت : ماله قالوا لما خرجت من عنده أمس بسط كساءه في وسط البيت ثم لم يدع في بيته جلدا ولا قالبا إلا وضعه في كسائه ثم حمله ثم خرج فلم ندر أين ذهب !!

قال محمد بن المنكدر فما تركت بالمدينة دارا أعلمها إلا طلبته فيها فلم أجده رحمه الله[1].

---

(١) ابن الجوزي (صفة الصفوة : ٢/١٩١) .

وختاما ما أحوجنا إلى الثبات على الهداية فإن الأعمال بالخواتيم نسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يرزقنا نعمة الهداية وأن يثبتنا عليها اللهم آمين .

كتبه الفقير إلى عفو ربه ومولاه

صلاح الدين علي عبد الموجود

الفهرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة